

بابا شوره الثالث



البابا شنودة الثالث



What is Man (Ps 8: 4)

By H. H. Pope Shenouda III

1st. Print

Dec. 1995

Cairo

الطبعة الأولى

ديسمبر ١٩٩٥

القاهرة



قلايت من البنايت نوكة الثالث
بنايت من البنايت نوكة الثالث

مقدمة الكتاب

مَنْ هُوَ الْإِنْسَانُ؟

سأل داود النبي هذا السؤال في المزمور الثامن . فقال للرب "من هو الإنسان حتى تذكره" هذا الذي "على أعمال يديك أقمته.. اخضعت كل شيء تحت قدميه..". (مز ٨ : ٤ ، ٦). وتحدث عن مصير هذا الإنسان على الأرض، فقال في مزمور آخر "إنما نفخة كل إنسان قد جعل . إنما كخيال يتمشى الإنسان" (مز ٣٩ : ٥ ، ٦) .

وأجاب القديس يعقوب الرسول على سؤال "ما هي حياتكم؟" فقال "إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل" (يع ٤ : ١٤) .

ونعود فنسأل "من هو الإنسان؟" .

فنجيب إنه جسد ونفس وروح (١ تس ٥ : ٢٣) .

إنه نفس تشتتهى . وهو روح تتصل بالله : تصلى وتتأمل وتتعبد ، "وتشتتهى ضد الجسد، حتى يقاوم أحدهما الآخر" (غل ٥ : ١٧) .

والإنسان هو مجموعة من الغرائز والطاقات ، يسيطر عليها أحياناً ويوجهها . وفي أحيان أخرى تتسلط هذه الغرائز عليه وتوجه طاقاته .

الإنسان هو ضمير يشرع ، ويرقب ويقضى ويدين ...

الإنسان هو ذلك العقل الجبار ، الذي صنع مركبات صعد بها إلى القمر . ولا تزال مركباته تدور حول الأرض، ترى وتصور .

الإنسان هو قلب ينبض بمشاعر وأحاسيس : ترق أحياناً فتبكيه ، ونقسو أحياناً فتحوله إلى وحش كاسر ...

الإنسان هو فكر لا يصمت . وأفكاره على أنواع ومستويات .. قد تعلو حتى تصل إلى السماء وإلى الله . وقد تتدنى فلا تتشغل إلا بالجسد والمادة . وقد تتعقد حينما تبحث أموراً فوق مستواها .

الإنسان هو هذا كله معاً ...

ولكن ليس بمقياس واحد . وكثيراً ما يطغى فيه أحد هذه العناصر أو بعضها، فتصبح هذه هي السمة التي تميزه عن غيره .. وقد تتصارع فيه هذه العناصر التي ذكرناها، ويستمر فيه الصراع ، أو يهدأ ويستقر . وفي هذا يختلف إنسان عن آخر ...

وقد قال البعض عن الإنسان ، إنه عالم صغير **Micro Kosmos** .

فيه الجبل العالى ، وفيه البحر العميق ، وفيه الطين والمستنقع ...

فيه الذهب والدر ، وفيه الرمل والحصى .

فيه النور الساطع ، وفيه الضباب الذى يحجب النور .

فيه أشياء عديدة تتألف حيناً ، وتتناقض فى حين آخر ...

ولقد تحدثت عن الإنسان وتركيباته فى عظات ألقيتها فى الكاتدرائية الكبرى بالقاهرة.

ونشرت عن ذلك عشرين مقالاً فى جريدة وطنى .

ثم جمعت لك ذلك كله - أيها القارئ العزيز - ليكون بين يديك فى هذا الكتاب .. محاولاً فيه أن أجيب عن هذا السؤال "من هو الإنسان؟" .

بقى موضوع (الأرواح) ...

الذى أود أن أنشر عنه كتاباً خاصاً ، إن أحببت نعمة الرب وعشنا .

الفصل الأول

للإِنْسَانِ
نَفْسٌ
وَجَسَدٌ
وَرُوحٌ

ما يتكون الإنسان؟

جسد وروح ونفس

يتكون الإنسان من جسد ونفس وروح .

وهكذا علمنا الكتاب المقدس وصلوات الكنيسة .

١ - يقول القديس بولس الرسول في (١ تس : ٥ : ٢٣) " ولتُحفظ روحيكم ونفسيكم وجسديكم

كاملة بلا لوم عند مجئ ربنا يسوع المسيح" ... وهو هنا قد ذكر الجسد والنفس والروح .
إن الجسد معروف لا نقاش فيه ...

٢ - ولكن للمفارقة بين النفس والروح ، ننكر الآتى :

* يتحدث القديس يهوذا غير الأسخريوطى في رسالته ، فيقول عن الأشرار إنهم
"نفسانيون لا روح لهم" (يه ١٩) .. أى أنهم يسلكون حسب أهواء النفس ، وليس حسب
الروح ...

* ويقول القديس بولس الرسول عن قوة كلمة الله فيصفها بأنها حياة وفعالة ، وأمضى
من كل سيف ذى حدين ، وخارقة إلى مفرق النفس والروح .." (عب ٤ : ١٢) . وهكذا فرق
بين النفس والروح ...

٣ - ونحن نصلى في القداس الإلهي ونقول :

"طهر نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا" . ونقول عن التناول من الأسرار المقدسة "طهارة
لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا" ...

٤ - كذلك الآباء الروحانيون في نسكياتهم :

يفرقون في السلوك بين المستويات الجسدية والنفسانية والروحانية . [اقرأ كتابنا عن
حياة الفضيلة والبر من ص إلى ص] .

٥ - ولعلنا في هذه المناسبة ، نذكر في التفريق بين النفس والروح :

كان قداماء المصريين يعتقدون في الكا ، والبا .

وكلمة (كا) معناها الروح . وجمعها (كاو) أى أرواح . ومن أمثلتها إسم الملك صاحب الهرم الثالث : منقرع (من كاو رع) أى أرواح رع الخالدة .. ولعل كلمة (البا) عندهم تقابل النفس عندها .

خلق الإنسان أولاً من تراب . والتراب صار الجسد . نفخ الله فيه نسمة حياة . وهذه النسمة هى الروح البشرية ، وليس الروح القدس كما يظن البعض . لأنه لو كان روح الله قد اتحد بهذا الجسد اتحاد اقنومياً ، ما كان ممكناً للإنسان أن يخطئ . ولنتحدث الآن عن كل مركبات الإنسان : النفس والروح والجسد :

النفس

نذكر أولاً الفرق بين النفس والروح .

النفس هى التى تعطى الحياة للجسد .. والروح هى التى تعطى حياة للإنسان مع الله . لذلك فللحيوانات أنفس ، وليست أرواح كالبشر .

أرواحنا خالدة ، والحيوانات ليست لها أرواح خالدة .

ومادامت النفس تعطى الحياة للجسد ، لذلك قيل فى سفر اللاويين :

"نفس الجسد فى دمه" (لا ١٧ : ١١ ، ١٤) .

ولهذا حرّم الله أكل الدم . فقيل "لا تأكلوا دم جسد ما ، لأن نفس كل جسد هى دمه . كل من أكله يقطع" " لا تأكل نفس منكم دماً ، ولا يأكل الغريب النازل فى وسطكم دماً" (لا ١٧ : ١٤ ، ١٢) .

وهذا المنع عن الدم بدأ من أيام أبينا نوح .

فلما صرح الله للبشرية بأكل اللحم ، منعها عن الدم فقال لهم "كل دابة حية تكون لكم طعاماً . كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع . غير أن لحماً بحياته لا تأكلوه" (تك ٩ : ٣ ، ٤)

واستمر هذا المنع فى العهد الجديد . فحينما قرر الآباء الرسل قبول الأمم فى الإيمان ،

أرسلوا إليهم "أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام ، وعن الدم والمخوق والزنا" (أع ١٥ : ٢٩) .

الدم فيه حياة الإنسان . إن سَفِكَ دمه ، انتهت حياته ، انتهت نفسه .

ولعل أحداً يقول إن موت الإنسان يعنى موت المخ ، أى توقفه بكل مراكزه عن

الحركة . وبالتالي موت القلب ، أى توقفه عن النبض . وفى الواقع ليس هناك تناقض بين

هذا وما قلناه . لأنه إن سُفِكَ دم الإنسان، لا يصل دم إلى المخ فيموت . وأيضاً لا يجد القلب دماً يضخه ، فيتوقف عن النبض . وتتوقف الرئتان عن عملهما في التنفس . فيلغظ الإنسان نفسه الأخير . ولذلك قيل أيضاً إن كلمة النفس أخذت من النَّفَس (في التنفس) .
ولأن نفس الإنسان في لَمِه ، استخدم الدم في التكفير عن الخطايا ، لأن نفساً تؤخذ عوضاً عن نفس .

وهكذا يقول الرب "لأن نفس الجسد هي في الدم ، فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم . لأن الدم يكفر عن النفس" (لا: ١٧ : ١١) . وهكذا كان يرش دم الذبيحة مستديراً حول المذبح أو يصب أسفل المذبح أو على حوائطه (لا: ١٥ ، ١١ ، ٥ : ٣٧) :
٢ ، ٨) ... (لا: ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤) . وما كانوا يأكلون منه إطلاقاً ...

المعاني الثلاثة للنفس

١ - قلنا إن المعنى الأول للنفس هو أنها مصدر الحياة الجسدية للإنسان . وأن نفس الإنسان في دمه، إذا سفك دمه مات ...

٢ - النفس تعنى الإنسان كله :

★ وهكذا في خلق الإنسان ، قيل "إن الله نفخ في آدم نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية" (تك: ٢ : ٧) . إذن كلمة نفس تعنى الإنسان كله .

★ ومن جهة الذين خلصوا من الطوفان في الفلك ، قال القديس بطرس الرسول عن الفلك "الذى فيه خلص ثمانى أنفس بالماء" (١بط: ٣ : ٢٠) . ويقصد بثمانى أنفس ثمانية أشخاص .

★ وقيل في سفر التكوين عن بنى يعقوب الذين جاؤا إلى مصر "جميع النفوس ليعقوب التى أتت إلى مصر الخارجة من صلبه، ما عدا نساء بنى يعقوب، جميع النفوس ست وستون نفساً" (تك: ٤٦ : ٢٦) . ويقصد بذلك ٦٦ شخصاً .

★ يشبه هذا ما قاله ملك سادوم لأبينا إبراهيم بعد إنتصاره في حرب كدر لعومر وباقى الملك، وبعد أن رد سبى سادوم . قال هذا الملك لأبينا إبراهيم "اعطنى النفوس ، وأما الأملاك فخذها لنفسك" (تك: ١٤ : ٢١) . يقصد هنا أعطنى الناس ...

★ وبنفس المعنى قال السيد الرب "تعلموا منى فإنى وديع ومتواضع القلب ، فتجدوا راحة لنفوسكم" (مت: ١١ : ٢٩) أى تجدوا راحة لأشخاصكم .

*وبنفس المعنى أيضاً قيل في آخر رسالة معلمنا يعقوب "من رذّ خاطئاً عن ضلال طريقه ، يخلص نفساً من الموت، ويستر كثرة من الخطايا" (يع: ٥: ١٩) . أى يخلص هذا الخاطئ كله ...

*وفي عقوبة من يأكل شيئاً مختماً في اسبوع الفطير بعد الفصح، قيل "سبعة أيام لا يوجد خمير في بيوتكم . فإن كل من أكل مختماً تقطع تلك النفس من جماعة إسرائيل" (خر: ١٢: ١٩) .. أى يقطع ذلك الشخص من جماعة المؤمنين .

*وفي نفس الكلام عن أن نفس الإنسان في دمه، قيل "لا تأكل نفس منكم دماً" (لا: ١٧٧: ١٢) . أى لا يأكل شخص منكم دماً .

*وأيضاً قال الرب في سفر حزقيال النبي "النفس التي تخطئ هي تموت" (حز: ١٨: ٢٠) .. أى الشخص الذي يخطئ هو يموت ...

النفس أحياناً بمعنى الروح

*مثل قول الرب للغنى الغنى الذى قال "أهدم مخازنى وأبنى أعظم منها ، وأجمع هناك جميع غلاتى وخيراتى .. " فقال له الله "يا غبى، فى هذه الليلة تطلب نفسك منك. فهذه التى أعددتها لمن تكون!" (لو: ١٢: ١٨ ، ٢٠) . يقصد تؤخذ روحه منه ، فيموت .

فالمعروف أن روح الإنسان هى التى تخرج بالموت . كما قال السيد على الصليب "يا أبتاه فى يديك أستودع روحى" (لو: ٢٣: ٤٦) . وكما قال القديس اسطفانوس أثناء رجمه "أيها الرب يسوع، أقبل روحى" (أع: ٧: ٥٩) .

مثل آخر وهو قول الرب "لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، ولكن النفس لا يقدر أن يقتلوا . بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم" (مت: ١٠: ٢٨) .. وكلمة (نفس) هنا، المقصود بها هو الروح ...

* * *

الجسد

أولا ملاحظة أقولها هى أن الجسد ليس شراً فى ذاته .

١ - لأنه لو كان الجسد شراً ، ما خلق الله جسداً . فالله لا يخلق الشر . فالله عندما خلق الإنسان بجسد ، رأى أن ذلك حسن جداً (تك: ١: ٢٦ - ٣١) .

٢ - ولو كان الجسد شراً ، ما كان الرب قد تجسد (يو: ١: ١٤) . فمن المحال القول أن

جسد المسيح كان شراً !! فالملاك الذى بشر العذراء بميلاد المسيح، قال لها "القديس المولود منك ، يدعى ابن الله" (لو ١: ٣٥) .

٣ - ولو كان الجسد شراً ، ما كان الله يقيم الجسد من الموت .. كان يتركه يأكله الدود ، ويتحول إلى تراب ، وينتهى أمره !

٤ - ولو كان الجسد شراً ، ما كانت تحدث معجزات عن طريق الأجساد . مثل الميت الذى قام ، لما لمس عظام إيليشع النبى (٢مل ١٣: ٢٠، ٢١) .

أو مثل العناديل والمآزر التى كانت تؤخذ من على جسد بولس الرسول وتوضع على المرضى، فتزول عنهم الأمراض وتخرج منهم الأرواح الشريرة (أع ١٩: ١٢) ...

★ إن الجسد ليس شراً فى ذاته ، وإلا ما كنا نكرم أجساد ورفات القديسين ، ونلتمس منها بركة .

★ والجسد ليس شراً فى ذاته ، لأنه يشترك مع الروح فى العبادة : الروح تخشع ، والجسد يسجد معها ويركع . والروح تخاطب الله فى الصلاة ، والجسد يرفع يديه ونظره

إلى فوق . ويقول مع داود النبى "وليكن رفع يديّ ذبيحة مسائية" (مز ١٤١: ٢) "باسمك أرفع يدي، فتشبع نفسى كما من شحم ودسم" (مز ٦٣: ٤، ٥) .

★ ولو كان الجسد شراً ، ما كان الرسول يقول "مجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله" (١كو ٦: ٢٥) . إذن الجسد هو لله، ويمكن أن يمجده .

★ ولو كان الجسد شراً ، ما كان يعتبر هيكلًا للروح القدس، كما قال الرسول "أم لستم تعلمون أن جسديكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم" (١كو ٦: ١٩) "أنكم هيكل الله،

وروح الله يسكن فيكم" (١كو ٣: ١٦) .

★ ولو كان الجسد شراً ، ما كان الذى يطعم جسداً جائعاً كأنه يطعم المسيح نفسه، كما قال الرب "كنت جوعاناً فأطعمتمونى" (مت ٢٥: ٣٥) .

وكذلك ما كان الرب يشفى الأمراض ، ويمدح السامرى الصالح الذى اهتم بجسد إنسان جريح" (لو ١٠: ٣٣، ٣٤) .. وأيضاً ما كان يقول "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل

المرضى" (مت ٩: ١٢) (لو ٥: ٣١) .

الجسد إنن ليس شراً ، ولكن الشرف فى أن الجسد يرتبط بالمادة وبشهوات العالم الفانى، ويقاوم الروح ويسلك ضدها .

وحينئذ يكون الخطأ ليس فى الجسد ، إنما فى إنحراف الجسد نحو الخطية، مثل الزنا

والبطنة والسكر والمخدرات والإدمان. وما يسميه الكتاب "شهوة الجسد، وشهوة العين، وتعظم المعيشة" (أيو ٢: ١٦). كذلك شهوات باقى الحواس، إذا انحرقت . وكما قال الحكيم "العين لا تشبع من النظر، والأذن لا تشبع من السمع" (جا ١: ٨) ليس العيب إذن فى الجسد ، بل فى الاستخدام السيئ لهذا الجسد . وفى هذه الحالة يقول الرسول :

"الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد . وهذان يقاوم أحدهما الآخر"
(غل ٥: ١٧) .

لذلك يقول "اسلكوا بالروح ، ولا تكملوا شهوة الجسد" (غل ٥: ١٦) .
ولكن ليس كل جسد يشتهى ضد الروح . فهناك أجساد ترتفع إلى المستوى الروحى .
ويصير الجسد روحياً فى رغباته وتصرفاته .
وفى القيامة العامة سنقوم بأجساد روحانية (١كو ١٥: ٤٤) .
إنه نفس الجسد ، ولكن فى حالة من التجلى ، نسميه الجسد الممجد كما قال القديس بولس الرسول عن عمل ربنا يسوع المسيح فى مجيئه الثانى: "الذى سيغير شكل جسد تواضعنا، ليكون على صورة جسد مجده" (فى ٣: ٢١) .

الروح وإمكانية سقوطها

الروح هى مصدر علاقة الإنسان بالله .
فبها تكمن محبة الإنسان لله ، والاشتياق إليه، والصلة به . ومنها تصدر الصلاة الروحية ، والتأملات الروحية . وهى التى تقود الفكر فى طريق الله ، والجسد أيضاً ، وتدير كل مشاعر القلب بأسلوب روحى . وبهذا يصل الإنسان إلى السلوك بالروح ، فى شركة مع روح الله القدوس .

ومادامت الروح هى عنصر الحياة الروحية فى الإنسان ، يحق لنا أن نسأل :

هل الروح يمكن أن تسقط ، وأن تخطئ ، وأن تتدنس ؟!

نعم ، يمكن أن تخطئ الروح كما يخطئ الجسد تماماً .

يمكن أن تخطئ الروح وحدها بغير جسد .

ويمكن أن تخطئ مع الجسد ، ويمكن أن تدفع الجسد إلى الخطية .

وسنشرح كل هذا بالتفصيل . وذلك لأن البعض يظن أن كل الخطأ سببه الجسد، وهو

الذى يقود الروح إلى السقوط . وهذا خطأ .

فهناك أخطاء كثيرة يمكن أن تقع فيها الروح وحدها :

مثال تلك الأخطاء التي وقع فيها بعض الملائكة :

فالملائكة أرواح ، كما قيل في المزمور "الذى خلق ملائكته أرواحاً ، وخدامه نار تلتهب" (مز ١٠٤ : ٤) . وقد سقطت مجموعة من هذه الملائكة، هي الشيطان الذى وُصف بأنه التتين، والحية القديمة، وابليس، والشيطان" (رؤ ٢٠ : ٢) . وقد قال القديس يوحنا الراجى إنه أبصر حرباً فى السماء بين ميخائيل وملائكته والشيطان وملائكته (رؤ ١٢ : ٧) .

هؤلاء الملائكة الذين سقطوا تسموا بالأرواح الشريرة أو الأرواح النجسة .

كما قيل إن الرب أعطى تلاميذه سلطاناً على الأرواح النجسة ليخرجوها (مت ١٠ : ١) . وفى إرساليته للسبعين رسولاً، قال لهم "لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم، بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم قد كتبت فى السموات" (لو ١٠ : ٢٠) .

أول خطية سقط فيها الشيطان - وهو روح - هى الكبرياء .

التي بها قال فى قلبه "أصعد إلى السموات . أرفع كرسيّ فوق كواكب الله ... أصعد فوق مرتفعات السماء . أصير مثل العلى" (أش ١٤ : ١٣ ، ٤) .

الشيطان أيضاً - وهو روح - سقط فى الحسد .

ونحن نقول للرب فى القداس الإلهى "والموت الذى دخل إلى العالم بحسد إبليس، هذمته..". ذلك أن الشيطان حسد الإنسان على محبة الله له ، وخلق على صورته ومثاله، فحسده وأسقطه ، وأوقعه تحت حكم الموت .

★ الشيطان - وهو روح - وقع فى الكذب ، وفى إغواء الآخرين .

فقد كذب عندما قال لأدم وجواء "لن تموتا" (تك ٣ : ٤) . وقد وصفه الرب بأنه "الكذاب وأبو الكذاب" (يو ٨ : ٤٤) . ويدخل فى كذبه كل الحيل التى يغوى بها العالم . وهو لا يزال يعثر الناس ويضلهم . وقيل عنه إنه فى أواخر الأيام، حينما يحلّ من سجنه، إنه "يخرج ليضل الأمم.." (رؤ ٢٠ : ٨) .

★ إذن الروح يمكن أن تسقط فى الكبرياء ، والحسد، والكذب، وإغواء الآخرين .. كل ذلك بدون جسد. وقيل أيضاً فى الكتاب :

"قبل الكسر الكبرياء ، وقبل السقوط تشامخ الروح" (أم ١٦ : ١٨) .

تشامخ الروح إذن هو خطية : كما وقع فيها الشيطان، يقع فيها كثير من الناس أيضاً . وإذا وقعت الروح فى التشامخ تجذب الجسد معها .

فيكون التثامخ في نظراته ، وفي صوته ، وفي طريقه جلوسه وطريقة مشيه ، وفي حركاته وفي إرشاداته .. وما في روحه من تثامخ ، صار للجسد أيضاً .. وهكذا أيضاً في كل شهوات الروح ، ما أسهل أن تجذب الجسد معها .
ومعروف أن كلاً من الكبرياء والعظمة ، تبدأ في الروح أولاً قبل الجسد .
خطية حواء بدأت أولاً بالروح ، التي خضعت لغواية الحية ، واشتهت أن تصير مثل الله ، وحينئذ بدأ الجسد يشتهي الثمرة المحرمة ، ثم يقطف ويأكل ...

اشترك الروح والجسد

قد تبدأ الروح بالخطية ويشترك الجسد معها . أو تسيطر شهوة الجسد عليه ، فيشارك الروح معه ، بما في ذلك العقل والفكر ...
والعكس صحيح : الروح تشتعل بعواطف الير ومحبة الله ، فتجذب الجسد معها ، ويشترك معها في روحياتها .

فمثلاً خشوع الروح ، يقود إلى خشوع الجسد .

مخافة الله وهيبته التي في الروح ، تجعل الجسد ينحني ، أو يركع أو يسجد . كما نقول في المزمور "أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك ، وأسجد قدام هيكل قدسك بمخافتك" (مز ٥ : ٧) . المخافة التي في الروح ، جعلت الجسد يسجد ...

الهيبة التي تملك الروح ، تجعل الإنسان يخلع حذاءه قبل الدخول إلى الهيكل . وذلك عملاً بقول الرب لموسى لما رأى العليقة المشتعلة ولا تحترق "اخلع حذاءك من رجليك ، لأن الموضع الذي أنت واقف فيه أرض مقدسة" (خر ٣ : ٥) . ونفس الكلام قيل ليشوع بن نون" (يش ٥ : ١٥) .

أما الذين يدخلون هيكل الله المقدس بالحذاء ، كأي مكان عادي .. فلأن الروح لم تخشع ، هكذا الجسد أيضاً لم يخشع !

إني أعجب للذين يصلون أحياناً وهم جلوس !!

أين خشوع الروح عندهم ، وأين خشوع الجسد !؟

إن لم يسجد الجسد أثناء الصلاة ، فعلى الأقل يقف أمام الله في مهابة وتوقير . ولعل إنساناً يسأل : بأيهما نبدأ ؟ بخشوع الجسد أم خشوع الروح ؟ يبدأ بأيهما .. إن بدأت بخشوع الروح ، سيخشع الجسد معها . وإن بدأت بخشوع الجسد ، ستخشع الروح معه .

فأنت إن تعونت أن تتحنى حينما تصلى وتقول "قدوس قدوس قدوس" .. فإن هذا الإحناء فى جسدك، سيدخل الخشوع إلى روحك. وحينما تخلع حذامك قبل الدخول إلى الهيكل، فهذا العمل الجسدانى سيسعرك أنك أمام مكان مقدس، فيدخل الخشوع إلى روحك...

وهكذا الصوم قبل تناول والطهارة الجسدية ، تشعرك بهيبة السر ، فيدخل الخشوع إلى روحك ، ومعه الإهتمام بالإستعداد الروحى .

مادام الإنسان من جسد وروح متحدين معاً ، إن ما يلحق أحدهما يلحق الآخر أيضاً ، إيجاباً وسلباً . فإذا حدث تسبب من الناحية الجسدية وعدم إهتمام، فهذا يصيب الروح أيضاً. وبقدر الحرص جسدياً ، يكون الحرص روحياً كذلك . ليس هذا مع الله فقط ، وإنما فى معاملة الناس أيضاً .

فإن كنت بروحك فى الداخلى تحترم إنساناً ، تجد هذا الإحترام يظهر أيضاً فى إنحنائك جسدياً وأنت تسلم عليه . وإن كانت فى روحك عجرفة من الداخلى أو لامبالاة ، فإن سلامك عليه سيكون من الناحية الجسدية بعجرفة ولا مبالاة ..

الروح والجسد يتجاوبان معاً ، إلا لو حدث إتقسام بينهما . وحينئذ يوجد صراع بينهما "وكل منهما يقاوم الآخر". ويعيش الإنسان فى هذه الإثنية. وينتهى إلى أحد أمرين : إما أن الجسد يستسلم للروح ويطيعها ... ويسلك معها فى حياة البر . وإما أن الروح تخضع له، وتسلك معه فى حياة الإستهتار ...

الروح هى صورة الله

حينما خلق الإنسان على صورة الله ومثاله (تك ١: ٢٦، ٧) ، إنما الروح هى التى خلقت على صورة الله . ففى أى شئ كانت على صورته ؟

١ - أولاً : على صورته فى البر والقداسة ، حسبما ورد فى (أف ٤: ٢٤) عن عودة الإنسان بالتجديد إلى صورته الأولى فهو "المخلوق حسب الله فى البر وقداسة الحق" . فحينما ترجع الروح إلى صورتها الأصلية ، ترجع إلى حالة القداسة والبر . فالروح البشرية حسب طبيعتها هى خيرة . والشر دخيل عليها .

٢ - الإنسان أيضاً على صورة الله فى المعرفة :
ومن هنا كانت روح الإنسان تتميز بالعقل والنطق . ومنذ البدء أعطاهما الله المعرفة ،

وقام آدم بتسمية كل الحيوانات . وما أطلقه عليها صارت هي أسماءها (تك ٢: ١٩) . غير أنه لا بد أن نذكر في موضوع المعرفة : أن معرفة الإنسان مهما نمت، هي معرفة محدودة، بينما معرفة الله غير محدودة . وإن شاء الله سنشرح هذا الموضوع في كتابنا (سنوات مع أسئلة الناس) .

٣ - روح الإنسان خلقت على صورة الله في الحرية .

وهكذا خلق الله الإنسان بحرية إرادة، وبحرية الإرادة قد سقط . وكان الله يعرف أنه إن منح الإنسان حرية قد يسقط ويخطئ . ويحتاج خلاصه إلى التجسد والفداء . ففضل الرب أن يحتمل هذا في مقابل أن يخلق الإنسان وله روح حرة، لا يرغمها على حياة البر، إنما تسير في البر بإرادتها .

وهكذا أيضاً حينما قدم الله وصاياه للبشر في أيام موسى ، قال للشعب في سفر التثنية "انظر . قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير ، والموت والشر .. البركة واللعنة . فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك ، إذ تحب الرب إلهك" (تك ٣٠: ١٥ ، ١٩) .

أنظروا إلى أى مدى أحب الله أن يخلق الإنسان على صورته في الحرية، وهو يعلم أنه سيخطئ . ويكون ثمن خلاصه هو التجسد والألم والعار والصليب والموت والقبر ... ليكن . فهذا أفضل من أن يجعله مسيراً نحو الخير .. يتركه ليختار الخير بحريته .. ولولا هذه الحرية ، ما وضع الله الوصية ، والثواب والعقاب .

٤ - خلق الله روح الإنسان على صورته في السلطة .

فلما خلق آدم وحواء ، قال لهما : أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض، واخضعوها . وتسלטوا على سمك البحر ، وعلى طير السماء ، وعلى كل حيوان يدب على الأرض" (تك ١: ٢٨) . وكرر الله بركة السلطة هذه لنوح وبنيه بعد رسو الفلك (تك ٩: ١ ، ٢) .

تبقى بعد كل هذا نقطة حساسة وجوهرية في موضوع (صورة الله) وهي :

٥ - إن كان الله قد خلق الإنسان على صورته ، والله غير محدود ، فما هو نصيب

الإنسان من هذه الصفة ؟!

حقاً إن الله وحده هو غير المحدود . ولا يمكن أن يشاركه أحد في هذه الصفة الإلهية الذاتية . فكيف يكون الإنسان على صورته في هذا المجال، بينما الإنسان كأي مخلوق، هو مخلوق محدود؟! الحل هو الآتى .

الإنسان محدود . ولكن الله وضع فيه الإشتياق إلى غير المحدود .

ففى روجه اشتياق إلى الله غير المحدود . واشتياق غير محدود إلى الروحيات والسعى إلى حياة الكمال .

كمثال ذلك القديس بولس الرسول الذى صعد إلى السماء الثالثة (٢كو١٢: ٢، ٤) ، والذى تعب فى الخدمة والكراسة أكثر من جميع الرسل (١كو١٥: ١٠) ، نراه يقول "ليس أنى قد نلت أو صرت كاملاً ، ولكنى أسعى لعلى أدرك .." "أنا لست أحسب نفسى أنى قد أدركت . ولكنى أفعل شيئاً واحداً، إذ أنسى ما هو وراء ، وامتد إلى ما هو قدام . أسعى نحو الغرض ، لأجل جعلالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع ..." (فى٣: ١٢ - ١٤) .

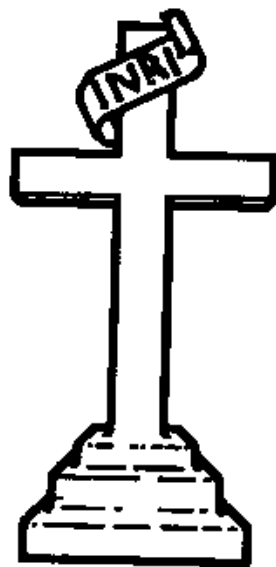
إلى أين هذا السعى ، وهذا الإمتداد إلى قدام ؟ وماذا يريد أن يدركه أكثر مما قد أدركه؟! لا شك أنه الإشتياق إلى اللامحدود ...

بسبب هذا وُجد الطموح فى روح كل إنسان .

الإمتداد إلى قدام ، محبة المثاليات ، الإطلاق نحو غير المحدود .. محبة الكمال .. غير أن كل إنسان يوجه هذا الإشتياق فى الإتجاه الذى يروقه . وهنا تختلف نوعية الطموح. ولكن الطموح ذاته موجود ، فى الإشتياق إلى غير المحدود .

بقيت هناك موضوعات كثيرة خاصة بالروح .

وتساؤلات عن الروح بعد الروح .



الفصل الثاني

طائفت
للوفسامة
وعزلة

طاقات الإنسان

لقد زود الله الإنسان بطاقات كثيرة، كل منها لها اختصاصاتها، ولها إمكانياتها ومقدراتها ، نذكر منها :

العقل ، والروح ، والنفس ، والضمير ، والإرادة ، والحواس...

يضاف إلى كل هذا ، ما يمنحه الله لكل إنسان على حدة من مواهب .

ويختلف كل إنسان عن غيره في درجة هذه الطاقات كلها .

صدقوني إننا لم نعرف بعد ، مقدار عظمة كل هذه الطاقات البشرية العجيبة ...

من كان يتصور أن العقل مثلاً ، يمكن أن تصل طاقاته إلى اختراع سفن الفضاء تصل

إلى القمر مباشرة ويتمشى الإنسان عليه .. أو أن يخترع أقماراً صناعية تجول حول

العالم، وتجمع أخباراً وترسل صوراً عن كواكب في السماء .. ومن كان يتصور أن العقل

البشري يستطيع أن يتوصل إلى إختراع عقل آلي ، وإختراع الكمبيوتر، ويستعين بالآلة

على سرعة التفكير ، وجمع المعلومات، واستنتاج الحقائق .

وليست طاقات العقل هذه ضد الدين في شيء . فالله هو الذي خلق العقل ومنحه

طاقاته .

فكل ما يصل العقل إليه ، يرجع الفضل فيه أولاً وأخيراً إلى الله تبارك اسمه ، الذي

وضع فيه كل هذه القدرات حين خلقه .. ويمكننا أن نقول إننا لم نصل بعد إلى إكتشاف كل

طاقات العقل، الذي يمكنه أن يخترع أموراً لا تخطر حالياً على فكر إنسان !...

والروح في الإنسان لها أيضاً طاقات عجيبة مذهلة .

الناس لم يعرفوا كل طاقات الروح ، لأنهم لم يكتشفوا تلك الطاقات ولم يستخدموها ،

ذلك لأنهم لم يدخلوا في التداريب التي تنشط الروح، وتمنحها الإنطلاق الطبيعي لها ..

ونحن حينما نقرأ عن تداريب الروح التي تجريها جماعات من الهندوس ومن اليوجا، وما

وصلوا إليه من نتائج ، نرى عجباً .. إنها ليست معجزات أو قدرات خارقة، ولكنها الطاقة

الطبيعية للروح، التي لا نستخدمها نحن، لأننا نهمل ذلك أو لا ندركه ...

كذلك طاقات الحواس لم نستخدمها كلها ...

وذلك لعدم شعورنا بالإحتياج إليها . فعدم استخدامها جعلها طاقات كامنة مختلفة ، تظهر حينما نفقد حاسة معينة، فنستعوض عنها بتنشيط حواس أخرى بديلة ...

فإنسان مثلاً يفقد بصره : ويحاول أن يستعويض عنه بالسمع وبالمس ، فتقوى عنده حاسة السمع وحاسة اللمس ، وربما حاسة الشم أيضاً . لأنه أخذ يدرّب هذه الحواس تدريجاً دقيقتاً ، لتكون له أبواباً للمعرفة عوضاً عن النظر . وهنا تظهر الطاقات الجبارة الموجودة في هذه الحواس ، والتي كانت كامنة غير ظاهرة في حالة عدم استخدامها ...

إن الإنسان الكامل ، في كمال عقله ، وكمال روحه ، وكمال حواسه كلها ، لم يوجد بعد نستثنى من هذا ناسوت السيد المسيح طبعاً .

إن طبيعة الإنسان في كمالها من كل ناحية ، تحتاج إلى حرص واهتمام ، بحيث لا يفقد الإنسان قوة طاقاته ، كما تحتاج إلى تداريب للحفاظ على هذه الطاقات ، ولكي تنمو أيضاً ...

✱ ✱ ✱

نعم ، يلزم كل إنسان أن ينمي قدراته وطاقته .

وأن ينمي أيضاً المواهب التي يمنحها الله له .

الله منحك عقلاً ، ووهبك ذكاء خاصاً في عقلك ، أو وهبك لهذا العقل ذاكرة قوية .. فيلزمك ليس فقط أن تحافظ على كل ذلك، بل أيضاً أن تنمي عقلك وذكاءك، وذاكرتك.. تنمي قدرتك على التفكير السليم، وعلى الاستنتاج ، وعلى حل المشاكل ...

فالمسائل الرياضية والتمارين الهندسية ، التي كنا ندرسها في المدارس، لم تكن لمجرد العلم أو بهدف التخصيص ، إنما كانت لها فائدة أخرى في تدريب العقل على التفكير ...

خذ مثلاً إثنين يلعبان شطرنج ، وكل منهما صامت يفكر :

ما هي الخطوة التي سيلعبها زميله ، وكيف يرد عليها؟ وماذا سيكون ردّ زميله على رده؟ وكيف سيتصرف وقتذاك؟ وكيف يمكنه أن يعرقل خطته؟ وكيف يضع هو خططاً غير مكشوفة، تصل به إلى النتيجة المطلوبة، ولو بعد مراحل ..؟ إنه تدريب على الذكاء ، وليس مجرد تسلية لقضاء الوقت .

الأغاز أيضاً وحلها ، والمسابقات ، كلها تداريب للتفكير ..

وما أكثر تداريب النكاء وتنمية التفكير .

يمكنك أن تستخدمها لنفسك ، ولأولادك أيضاً ولتلاميذك ، حتى ينشأوا بعقل قوى متدرب على الفكر . وحتى إذا صادفتهم مشكلة، يكون عقلم مستعداً لمواجهةها بغير إضطراب .

وفى الحياة العملية توجد تداريب على الحكمة فى التصرف ، أو تنمية الفكر عن طريق المشورة والإنتفاع بخبرات الآخرين .
ضميرك أيضاً يحتاج إلى تنميته .

إن بولس الرسول حينما يقول "إنى بكل ضمير صالح قد عشت لله إلى هذا اليوم" (أع: ٢٣: ١) ، إنما يذكرنا أن هناك ضميراً صالحاً، وضمائر أخرى غير صالحة . فهناك ضمير واسع يطلع الجمل، وضمير ضيق يصفى عن البعوضة . وكان الكتبة والفريسيون واقعين فى كليهما (مت: ٢٣: ٢٤) . يوجد ضمير مريض لا يميز تماماً بين ما هو خير وما هو شر . ويوجد ضمير ضعيف تؤثر عليه العوامل الخارجية ...

وينمو الضمير عن طريق سماع الوعظ والكلام الروحى ، وعن طريق المعرفة السليمة والتأثر بالقوة الصالحة .

وأنت محتاج إلى أن تغذى ضميرك بكل ذلك ، وتتعود محاسبة نفسك ولومها على كل أخطائها مهما صغرت . وفى نفس الوقت تتعود الجدية والتدقيق . فهذه الوسائط كلها ، ينمو ضميرك فى المعرفة وفى الحكم فى قيادة النفس بشرط أن تتبعد عن الوسوسة التى تتخيل الشر حيث لا يوجد ، أو تحكم على الأخطاء بأزيد من طبيعتها ...
وهنا أقول إن معارفك أيضاً تحتاج إلى تنمية .

هناك نمو طبيعى فى المعرفة خلال مراحل العمر . وهناك أيضاً تنمية للمعرفة ، تغذى هذا النمو الطبيعى بمادة سليمة . والذى يهتم بنموه فى المعرفة ، يتحول إلى إنسان متقف ، ويبعد عن الجهل المحارب للنفس . ويستطيع أن يكون عضواً نافعاً فى المجتمع، إلى جوار نفعه الشخصى ...

والمعرفة تغذى عقله ، وتغذى ضميره . وتدفعه إلى السلوك السليم .
فيعرف ليس فقط التمييز بين الخير والشر ، وإنما أيضاً بين اللائق وغير اللائق، المناسب وغير المناسب . وتساعد المعرفة على الحكمة وحسن التصرف ، وعلى النجاح فى التعامل مع الناس . وإذا نما فى ذلك قد يصل إلى القدرة على الإرشاد .

يحتاج الإنسان أيضاً إلى تنمية وتقوية إرادته .

فكثيرون يعرفون الخير ، ولكن إرادتهم لا تقوى على عمله . ويعرفون الشر ومضاره، ومع ذلك فإن إرادتهم أضعف من أن تبعد عنه ، وتعجز إرادتهم عن مقاومة الخطيئة ، مع معرفتهم بكل نتائجها . وذلك لأن الرغبة أو الشهوة تسيطر على الإرادة وتقودها في طريقها .

الإرادة سلاح ذو حدين ، يستخدم للخير وللشر .

وكل إنسان يحتاج إلى تقديس الإرادة وإلى تقوية الإرادة . وبهذا تكون طاقة نافعة له في حياته الروحية . وهناك تداريب كثيرة لتقوية الإرادة ، منها تداريب ضبط النفس . ومنها الصوم أيضاً . ومنها ضبط اللسان ، وضبط الحواس ، وضبط الفكر ، والسيطرة على الأعصاب ، وتداريب التخلص من العادات الخاطئة ...

وبتنمية الإرادة نميز بين الحرية والتسيب ...

فكلنا نحب الحرية . ولكن ندرب أنفسنا على أن نسلك في الحرية بإرادة صالحة ، وبضمير سليم ، وفي حياة روحية وصلة بالله.. وإلا تحولت الحرية إلى لون من التسيب ، وفقد الإنسان سيطرته على إرادته ، وعلى توجيه حياته توجيهاً سليماً ...



حياتك بكل طاقاتها ، وزنة سلمك الله إياها، لتعتنى بها .

لذلك يلزمك أن تنمي شخصيتك بصفة عامة ، لتتحول إلى شخصية قوية سوياً ، سواء في العقل أو الضمير ، أو الإرادة ، أو المعرفة، أو الحكمة والسلوك ، أو الحكم على الأمور ، أو النفسية السوية .

من جهة كل هذا ، تحتاج إلى اهتمام خاص ، وإلى الاستفادة من الوقت وحسن استخدامه .

كثيرون يضيعون أوقاتهم في التفاهات ، أو في مجرد الترفيه والتسلية ، أو يبحثون عن وسائل لقتل الوقت .. دون مراعاة لاستخدام الوقت في تكوين شخصياتهم تكويناً سليماً .. وهؤلاء يلزمهم أن يهتموا ببناء أنفسهم ، بأن يولوا اهتماماً خاصاً لتنمية معارفهم وثقافتهم، وتقوية إرادتهم . والوصول بعقولهم وأرواحهم إلى أسمى وضع ممكن . واستخدام كل طاقاتهم لخيرهم وخير الناس، مع تنمية وتنقية وتقوية هذه الطاقات ...

لا تترك شخصيتك هكذا دون ضابط ودون اهتمام ، ودون نمو...

ولا تجعل كل اهتمامك بنفسك يتركز على الخارج، وليس على الداخل.. كفتاة مثلاً، كل اهتمامها بنفسها، وكل تميزتها لشخصيتها، يتركز في اهتمامها بشكلها، بجمالها وزينتها..! مقياسها الوحيد لشخصيتها هو المرأة، تطمئن بها على نفسها. وقد لا تستخدم سوى هذه المرأة الخارجية، دون أن تكون لها مرآة داخلية لترى بها حالة الروح والعقل والنفس والضمير ...

أو إنسان كل مقياسه لشخصيته هي المركز والقلب والمال، دون النفس من الداخل ...
الجسد أيضاً طاقة وهبها الله للإنسان .

فهو الجهاز التنفيذي ، لكل القرارات التي تصدر عن الروح ، وعن العقل ، وعن الإرادة وعن الضمير ... والجسد القوي يستطيع أن ينفذ ، بينما الجسد الضعيف يعجز عن ذلك ...

وما أسهل أن تؤثر أمراض الجسد على النفس .

فتجلب لها ألواناً من الألم أو الحزن ، أو الضيق أو التذمر . وكثير من الناس قد يصلون إلى درجات من الإتهيار النفسى بسبب حالة أجسادهم ، أو يصلون إلى مرض الكآبة ، أو إلى الحيرة والقلق .. أو تتشغل عقولهم بكيفية التصرف مع حالة الجسد ... وبعض أمراض الجسد تؤثر على كثير من طاقاته . أرتجاج مثلاً أو نزيف فى المخ قد يؤثر على بعض مراكز المخ كالذاكرة أو الحركة ، أو الصوت ... وتصلب الشرايين قد يؤدي إلى فقدان الذاكرة . وأعصاب الجسد إذا التهابت ، تؤثر على نفسية الإنسان وسلوكه. وأمراض القلب تؤثر على طاقاته ...

كذلك شهوات الجسد تؤثر على العقل وعلى الضمير .

وتحاول أن تستخدم العقل لتحقيق رغباتها ، كما تسكت الضمير أو تحاول أن توجد لهذه الشهوات أعذاراً وتبريرات !!
وشهوة الجسد قد تستأثر الفكر تماماً ، فلا يدور إلا فى فلكها ، كما تضعف الروح وتبطل صلتها بالله .

لكل هذا يلزمنا الاهتمام بأجسادنا . لا نضعفها بحيث تتعطل طاقاتها . ولا نشير غرائزنا بحيث تضعف أرواحنا .

✘ ✘ ✘

النقطة الهامة التي نريد أن نذكرها بعد كل ما قلناه هي :

حفظ التوازن بين طاقات الإنسان ، والتعاون والتكامل .

فلا توجد تناقض أو تصارع بين طاقته ، وبتفادي أن يوجد إنقسام في شخصيته أو صراع داخلي . كما قال أحد الأدباء عن صراع بين مشاعره وضميره :

"كنت أصارع نفسي وأجاهد ، حتى كأنتي إثنان في واحد . هذا يدفعني ، وهذا يمنعني" .
ما أسهل أن تتصارع الطاقات : الجسد يشتهي ضد الروح ، والروح ضد الجسد
(غل ٥ : ١٧) . أو النفس ضد الضمير . أو العقل ضد الإرادة .

ويجد الإنسان نفسه أنه ليس شخصاً واحداً ، بل كأنه إثنان يتصارعان! صراعاً بين طرق متشعبة تتجاذبه ، أو بين محبته للخير وشهوته للخبيثة ، أو بين أفكار لا يعرف أين الخير فيها . وما أشهر ما قاله الشاعر إيليا أبو ماضي في قصيدته :

" لست أدري :

إتني ألمح في نفسي صراعاً وعراكاً
وأرى نفسي شيطاناً ، وأحياناً ملاكاً
هل أنا شخصان يأبى هذا مع ذلك اشتراكاً
أم ترانتي وأهمساً فيهما أراه : لست أدري

الإنسان السليم السوي لا يوجد فيه هذا الصراع .

من الجائز أن يوجد صراع بينه وبين عوامل أو حروب خارجية . ولكنه في داخل نفسه مستقر تماماً ، غير منقسم على ذاته ، في فكره ولا في مشاعره ولا في إرادته . هو إنسان واحد ، يحارب بكل طاقاته حرباً خارجة عنه .

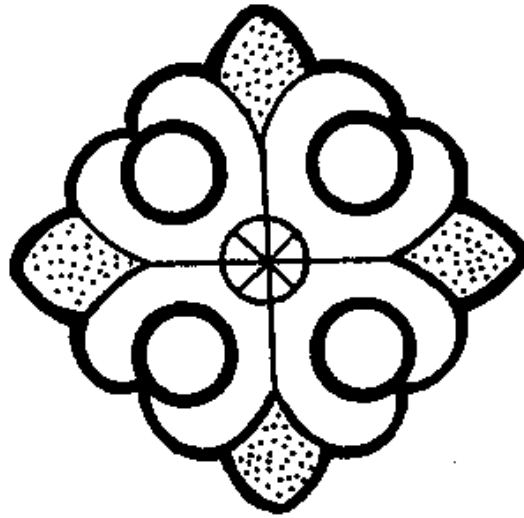
أما الحرب الداخلية فتحدث لأسباب منها : أن طاقة من طاقات الإنسان تحب أن تسيطر على طاقاته الأخرى أو بعضها .

إنسان مثلاً يحكم عقله ، فتسير أموره سيراً حسناً . ثم تأتي نفسه فتشتهى شهوة ، أو تنفعل إنفعالاً ، فتخرج العقل من سيره الطبيعي ليخضع لها . وكثيراً ما قلت :

ما أسهل أن يكون العقل خادماً مطيعاً لرغبات النفس !

رغبة للنفس خاطئة ، وهي مصرة عليها ومنقادة لها ، وتخضع العقل لها ، ليقدّم لها براهين وأدلة ، وربما يستخدم آيات من الكتاب المقدس بتأويل خاص يناسبه ، أو قصصاً من قصص الأبياء .. ولو رغبت النفس في العكس يسايرها العقل بأدلة وبراهين .

أم يخطئ ابنها ، فيتقدم عقلها للدفاع عنه ، مليباً مشاعر قلبها. ونفس الخطأ يقع فيه ابن الجيران، فينتقده عقلها بشدة، لأن النفس لم تدفعه إلى الدفاع .
وهكذا ترى العقل يزن أحياناً بميزانين .
وهنا التناقض ، لأنه كان حراً في إحدى الحالتين ، وتابعاً للنفس في الحالة الأخرى .
أما الإنسان العادل ، صاحب العقل الحر، فيقول عن الحق إنه حق، ولو كان صادراً من عدوه . ويقول عن الباطل إنه باطل، ولو كان صادراً من أبيه أو من أخيه .
العقل يقع تحت تأثيرات أخرى كثيرة .



توجيه الطاقات والغرائز والمواهب

خلق الله الإنسان وفي طبيعته طاقات كثيرة، منها الغرائز، التي يبدو بعضها هداماً، أو يستخدمه الكثيرون استخداماً سيئاً خاطئاً . بينما كل شيء في طبيعة الإنسان يمكن استخدامه للخير، حتى ما يظنه البعض خاطئاً ..! وسنضرب لذلك بعض أمثلة :

العناد

يقع الإنسان في يد مرشد قاسٍ ، فيحطم طاقاته، ويحطم معها نفسه. بينما تتناوله يد مرشد حكيم، فيحول طاقاته إلى الخير .
ويمكن أن نطبق هذه القاعدة على العناد مثلاً ...
هل العناد خطية أم طاقة ؟
أم هو طاقة في الأصل ، انحرفت فصارت خطية ؟
نسمى العناد خطية، إن كان عناداً في خطأ .
ومع ذلك يمكن استخدامه في الخير .
وحينئذ يسمى إصراراً وصموداً وثباتاً في الخير .
*خذوا مثلاً لذلك أبطال الإيمان ...

لاشك أن القديس أثناسيوس الرسولي كان خصماً عنيداً جداً للأريوسية، لو صح هذا التعبير .. فقد وقف في صلابة نادرة، وبإرادة حديدية، يدافع عن الإيمان السليم ضد أريوس، وضد الأريوسيين في عنفوان قوتهم وسلطتهم .. حُكم عليه أكثر من مرة، ونفى عن كرسيه أربع مرات. وقيل له "العالم كله ضدك يا أثناسيوس" فقال "وأنا ضد العالم" .
يتحول الأمر إذن إلى تصميم وصمود وثبات ، لا تراخي فيه ولا تساهل .. مادام

على حق .

★ نفس الوضع نقوله عن الشهداء والمعترفين ...

رسوخ عجيب في الإيمان .. على الرغم من كل الإغراءات، ومن كل التهديدات، ومن السجن والنفي وألوان التعذيب المرعبة. ولكن القلب كان راسخاً لا يتزعزع. ربما مضطهدوهم وصفوهم بالعناد، وبصلابة الرأي . ولكنه كان (عناداً) مقدساً، هو ثبات على الإيمان ...

★ نفس الصلابة نجدها في الإقدام على الرهينة .

يعاند الإنسان نفسه التي قد يحاول العالم إغراءها بكل السبل، ويعاند كل أفكار العدو ولا يأبه بها. بل ربما يقف ضده والده وأهله، ويؤثرون عليه بعواطف متعددة وضغوط شديدة، تصل عند البعض إلى حد العنف...! ومع ذلك يبقى طالب الرهينة راسخاً في فكره، لا يتحول عنه ...

★ ونفس الوضع قد يحدث في التكريس على متنوع صوره .

معاربات عديدة قد تقوم لتمنع التكريس ، ويقابلها قلب صلب، وفكر راسخ، وإرادة ثابتة ، لإنسان لا يتحول ولا يتزعزع ...

قد يُسمى البعض هذا عناداً ، ولكنه تصميم ...

★ أيضاً العناد مع النفس في الجهاد الروحي .

في الصوم ، وحفظ العفة ، وحفظ الفكر والحواس ، وضبط اللسان، وضبط الأعصاب.. وفي كل التدريبات الروحية، وفي ما يسمونها بفضيلة التغصب .. بل في كل الحروب الروحية، ومقاومة الإنسان للخطية، حسبما وبخ القديس بولس الرسول المترخين بقوله "لم تقاوموا بعد حتى الدم، مجاهدين ضد الخطية" (عب ١٢ : ٤) .

كل ذلك يحتاج إلى عناد ضد الشيطان والخطية والجسد ...

فيجد الشيطان نفسه أمام إنسان قوى، ليس سهلاً. يعجم عوده، فيجده صلباً .. يحاول الدخول إلى قلبه وإلى فكره ، فإذا هو "جنة مغلقة، عين مقفلة، ينبوع مختوم" (نش ٤ : ١٢) . يقف أمامه رجل الله بكل عناد وتصميم ، كصخرة جامدة لا تلين ...

لماذا إذن أخذ العناد صورة سيئة أمام الناس ؟

★ هذا العناد السيئ هو التصميم على الخطأ .

بحيث يسلك الإنسان في طريق خاطئ، ويصمم عليه، ويرفض كل تفاهم وكل نصيحة

مخلصة، بعقل مغلق عن كل إصلاح لمساره، حتى لو صدرت النصيحة عن صديق وفى،
أو أب روحى، أو مرشد موثوق به.. ومهما كان الحق واضحاً ...

هنا يكون العناد تصلباً فى الفكر والإرادة ، وليس ثباتاً على حق .

وعلينا فى إفراز وحكمة، أن نفرّق بين الأمرين ، ولا نخلط بينهما فى حكم واحد !..
ونلاحظ هذا الأمر جيداً فى تربية النشء ، فى تربية الأطفال وتوجيه الشباب .

* إن وجدنا عناداً ، صابراً عن إرادة قوية ، نحاول توجيه هذه الإرادة نحو الخير .
تبقى الإرادة فى قوتها وصلابتها وتصميمها ، لا نحطمها . ولكن نغير مسارها ،
بحيث تتجه نحو الخير ، بنفس القوة . فنستفيد منها، وينتفع صاحبها أيضاً ، ولا يخطئ ...

الغضب

الغضب طاقة ، مهما استخدمه الإنسان كخطية .

* يعتبر خطية إن أخذ طابعاً جسدياً نفسانياً .

جسدياً : إن تحول إلى نرفزة ، بتوتر الأعصاب وثورتها، وعلو الصوت وهياجه،
وعدم إنضباط الملامح والحركات ، مع أخطاء اللسان وعنف وقساوة الألفاظ .. ونفسياً من
حيث الغيظ والكراهية ، والانتقام للنفس ، وثورة القلب والفكر بأسلوب غير روحى، وربما
يصل إلى أخطاء أشنع كالشتائم والإهانات وجرح إحساس الآخرين أو إلى الضرب ...
* ومع ذلك فالغضب طاقة يمكن استخدامها للخير .

وقد شرحت لكم فى كتابى عن (الغضب) كيف يكون الغضب أحياناً غضباً مقدساً ..
وكيف أن موسى النبى الذى قيل عنه "وكان الرجل موسى حليماً جداً، أكثر من جميع
الناس الذين على وجه الأرض" (عد ١٢ : ٣) ... موسى هذا لما رأى الشعب يعبد العجل
الذهبي، "حمى غضبه" ، وأخذ هذا العجل الذهبي، وحرقه بالنار، وطحنه حتى صار ناعماً،
وذرّاه ، وانتهر هرون رئيس الكهنة ووبخه (خر ٣٢ : ١٩ - ٢١) .

إن الطاقة الغضبية يمكن تحويلها إلى الخير .

ونلاحظ أن يوحنا كاسيان كتب باباً عن الغضب فى كتابه (المعاهد) وشرح فيه أقوال
الآباء فى شرح الآية "اغضبوا ولا تخطئوا" (مز ٤) . وقال فى ذلك :

يمكنكم أن تغضبوا ولا تخطئوا ، إذا غضبتم على خطاياكم .

أى أن الإنسان إذا غضب على خطاياها ونقائصه وضعفاته وسقطاته ، لا يكون مخطئاً

أثناء غضبه . كما أن هذا الغضب المقدس يقوده إلى أنه لا يخطئ في المستقبل . وهكذا يكون قد قام بتوجيه الطاقة الغضبية في إتجاه سليم، ضد نفسه، لإصلاح نفسه وليس ضد غيره ...

ألا يدخل في هذا قول الرب أيضاً "إن كانت عينك اليمنى تعثر، فاقلعها والحقها عنك" (مت: ٥: ٢٩) .

نحن لا نحطم الطاقة الغضبية ، إنما نحسن توجيهها .

الطاقة الغضبية يمكن أن تنتج الحماس ، والغيرة المقدسة ، والنخوة . وإن تحطمت، صار الإنسان خاملاً .

بها يغضب الإنسان على الشر ، كما غضب فينحاس الكاهن، وطوبه الرب وكافأه (عد: ٢٥: ٦-١٣) . وكما غضب داود ووقف ضد جليات يقاومه . وأراح الأرض من غروره وتحدياته (اصم: ١٧: ٢٦-٥١) .

ولا يمكن للإنسان الروحي أن يرى الشر أمامه، ولا يتحرك قلبه من الداخل! فقد قيل عن القديس بولس الرسول إنه لما ذهب إلى أثينا "احتدت روحه فيه إذ رأى المدينة مملوءة أصناماً" (أع: ١٧: ١٦) .

ولكن إذا غضب الإنسان من أجل هدف روحي، ينبغي أن تكون وسيلته روحية .

لأن الهدف المقدس تناسبه وسيلة مقدسة . فلا يشتم ، ولا يتكبر ويتعالى على غيره، ولا يتجاوز حدوده، ولا ينساب لسانه أو قلمه بغير إنضباط وفي أسلوب خارج عن الأدب واللياقة .. !! وهكذا كما وجه هدف الغضب توجيهاً مقدساً، يوجه وسيلته أيضاً توجيهاً مقدساً ...

الطموح

ليس الطموح خطية . بل هو طاقة مقدسة .

به يتجه الإنسان إلى الكمال كصورة لله .

لقد خلقنا الله على صورته ومثاله (تك: ١: ٢٦) ، والله غير محدود . لذلك وضع فينا الإشتياق إلى غير المحدود. وقال لنا "كونوا كاملين، كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل" (مت: ٥: ٤٨) .

ويمكن توجيه الطموح في مسار روحي .

وهكذا فإن بولس الرسول الذى صعد إلى السماء الثالثة (٢كو١٢: ٢-٤) . والذى
تعب فى خدمة الرب أكثر من جميع الرسل (١كو١٥: ١٠) ... بولس هذا يقول "أنا لست
أحسب نفسى أتى قد أدركت . ولكنى أفعل شيئاً واحداً : إذ أنا أنسى ما هو وراء، وأمتد
إلى ما هو قدام . اسعى نحو الغرض .." (فى٣: ١٣) .

هذا الإمتداد إلى قدام ، مصدره الطموح الروحى .

الطموح إذن يؤدي إلى النمو الروحى .

والطموح أيضاً يشمل الحياة كلها ...

فى كل عمل تمتد إليه يد الإنسان : فى دراسته ، وفى وظيفته، وفى كل مسئولياته
العالمية والعائلية ، كما قال القديس يوحنا الحبيب "فى كل شئ أروم أن تكون ناجحاً
وصحيحاً، كما أن نفسك ناجحة" (٣يو٢) ... "فى كل شئ" كما يقال أيضاً فى المزمور
الأول عن الإنسان المطوب "وكل ما يعمله ينجح فيه" (مز١: ٣) . ونفس الكلام قيل عن
يوسف الصديق (تك٣٩: ٣) .

والطموح روحياً ، ليس معناه أن تتفوق على الآخرين، إنما أن تتفوق موضوعياً .

ليس أن تتغلب على غيرك فى العمل، إنما أن تتقن العمل إتقاناً مثالياً . وفى نفس
الوقت تتمنى أن كل منافسيك يتقنون نفس العمل بنفس الإتقان المثالى . فالطموح لا يضيع
فيك محبتك للناس .

الطموح إذن هو طموح روحى ، يشمل النمو الروحى المستمر فى كل فضيلة . وهو
أيضاً طموح روحى، يشمل النمو الروحى المستمر فى كل فضيلة . وهو أيضاً طموح فى
كل أعمالك ومسئولياتك لتصل فيها إلى كل كمال ممكن ، دون أن تصطدم بعوامل
شخصية .

ولا يأخذ الطموح أسلوباً مادياً أو عالمياً .

كالطموح فى الغنى والمناصب والألقاب والسلطة، ومحبة العالم، وتعظم المعيشة .

القوة

أولاد الله ينبغي أن يكونوا أقوياء ، لأنهم صورة الله القوى على أن تتجه القوة
إتجاهاً روحياً ...

وما أجمل قول الرب "ستتألون قوة متى حل الروح القدس عليكم . وحينئذ تكونون لى

شهوداً" (أع: ١: ٨) . وقول الكتاب "وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع. ونعمة عظيمة كانت على جميعهم " (أع: ٤٤: ٣٣) .

فإن كان واحد من أولئك يريد أن يكون قوياً ، لا تحطم فيه هذه الرغبة ...
إنما وجهها توجيهاً سليماً ، بأن يكون قوياً في روحياته ، في إرادته ، في إنتصاره على الخطية ... قوياً في خدمته ، في إقناعه ، في معلوماته ، في محبته ، في بذله ، في تأثيره على الآخرين... قوياً في تداريبه الروحية، في صلاته، في تأملاته ...
ولا تأخذ قوته أسلوباً شمشونياً أو عالمياً .
ولا تعنى قوته إنتصاره على غيره ، إنما كسبه للغير ...

محبّة النفس

هل محبة النفس خطية ؟

كلا ، فقد قال الكتاب "تحب قريبك كنفسك" (مت: ٢١: ٣٩) .
ولكن المهم أن تتجه محبتك لنفسك إتجاهاً روحياً .
فتحب لنفسك النقاوة والقداسة . وتحب لنفسك أن تكون هيكلًا مقدسًا للروح القدس، وأن تتألم نصيبها في الملكوت، وتكون بلا لوم أمام الله... نفساً منتصرة، تنضم إلى جماعة الغالبين، ويقودها الله في موكب نصرته (٢كو٢: ١٤) .
ولا تكون محبتك لنفسك ، أن تتركها لتسلك حسب هواها .
أو أن تقول كما قال سليمان "ومهما اشتتهه عيناى، لم أمنعه عنهما" (جا٢: ١٠) . فمن الفضائل المعروفة، ضبط النفس . وأيضاً محاسبة النفس ولوم النفس أى تبكيته على أخطائها .. بهذا تظهر محبتك الحقيقية لنفسك ...
وليست محبة النفس هي الأنانية ، أو تفضيل نفسك على غيرك .
فالرب يقول "من يرفع نفسه يتضع. ومن يضع نفسه يرتفع" (مت: ٢٣: ١٢) . ويقول الكتاب "مقدمين بعضكم بعضاً فى الكرامة" (رو١٢: ١٠) .
أتحب نفسك ؟ حسناً تفعل . بهذه المحبة، قومها لترجع كما كانت صورة لله .
واحرص من أن تحب نفسك محبة خاطئة..!

إن كنت تحبها ، إصعدها على الصليب ، حتى كما تتألم معه، تتمجد أيضاً معه (رو٨: ١٧) . وحتى تستطيع أن تتغنى قائلة "مع المسيح صلبت. فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فى"

(غل ٢: ٢٠) .

إذا أحببت نفسك ، أوصلها إلى إنكار الذات ، فتكون مثل المسيح الذى "أخلى ذاته"

(فى ٢: ٧) .

فليست محبة النفس أن تدلها . بل أنت بهذا تضيعها . بينما العكس هو الصحيح ، كما

قال المسيح :

من وجد نفسه يضيعها . ومن أضاع نفسه من أجل يدها" (مت ١٠: ٣٩) .

المواهب

نفرض أن إنساناً له موهبة فى الرسم أو النحت أو الشعر أو الموسيقى أو التلحين، أو حتى فى التمثيل أو الغناء أو ما أشبه ...

هل نكبت عنده هذه الموهبة ، ونقول له إتجاهاً روحياً، على زعم أن هذه الموهبة

تبعده عن الله!!

كلا ، بل يمكن توجيه كل هذه المواهب توجيهاً روحياً .

ونحن نحتاج إليها كلها داخل الكنيسة. نحتاج إلى أشخاص يؤلفون لنا تراتيل ، وإلى

آخرين يتقنون التلحين لكي يلحنوا هذه التراتيل، وأشخاص لهم مواهب صوتية وآخرين لهم

قدرة على العزف، لتكوين كورال روحى ...

بل نحتاج إلى إنشاء مسرح قبطى .

ينتج لنا مسرحيات جميلة عن سير الشهداء وآباء البرية وباقي القديسين . ويجسم لنا

تاريخنا بأسلوب مؤثر . ويمكن تسجيل ذلك كله على أفلام أو أشرطة فيديو، تُعرض على

الشباب والعائلات ، وعلى القرى فى الخدمة الريفية . وكل ذلك يلزمه مواهب التأليف

والتمثيل والتلحين والإخراج ، وفى المكياج والتصوير، وفى دراسة ملابس العصر

وتصنيعها .. ولا نحسب أن فى ذلك شيئاً من الخطأ...

إنما الخطأ هو فى سوء إستخدام الموهبة ..

أما استخدامها بأسلوب روحى ، ويهدف لإنجاح الخدمة، وجذب أولادنا من حول الأفلام

التي تتعجبهم إلى أفلام أخرى تشبعهم بمشاعر روحية.. كل ذلك نافع ومفيد، وليس فيه أى

خطأ. بل الخطأ هو فى نقص هذا المجال ...

الخطأ ليس فى الفن ، وإنما فى الإحراف بالفن .

إنّ نحارب الإنحراف ، ولا نحارب الفن ، ولا نكبت المواهب. وفي كل ذلك ،
فلنتذكر قول الرسول " كل شيء طاهر للطاهرين " (تى : ١ : ١٥) .

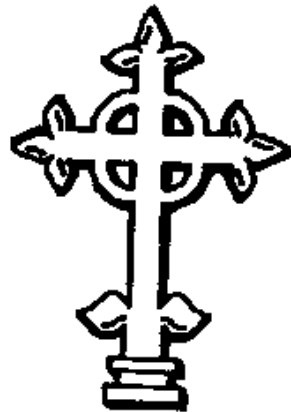
كل شيء طاهر للطاهرين

نستخدم كل موهبة بطهارة، وكل صفة بطهارة .
نستخدم الفن بطهارة ، فيصير طاهراً معنا .
ونستخدم الغضب بطهارة ، فيتحول إلى حماس روحى، وإلى غيرة مقدسة .
حتى المخدرات يستخدمونها فى العمليات الجراحية، فتصير فى هذا المجال الطبى
طاهرة للطاهرين .

الخوف قد يكون نقصاً ، وقد يتحول إلى مرض نفسى . ولكن إذا حولناه إلى مخافة
الله، صار طاهراً للطاهرين . وهكذا يتحول الخوف إلى فضيلة تقى من السقوط فى
الخطية .

الذكاء أيضاً يكون طاهراً للطاهرين . أما لغير الطاهرين فيتحول إلى طاقة مدمرة ،
وإلى دهاء ودسيسة وتآمر ... الحب يكون طاهراً للطاهرين ، ويتميز بالوفاء وبالعطاء
وبالأخلاص والبذل ولكنه لغير الطاهرين قد يتحول إلى دنس، أو إلى تدليل ، أو إلى أنانية
مدمرة ...

كل شيء نحكم عليه حسب استخدامه وحسب هدفه ووسيلته .
ويمكننا بالهدف الروحى والوسيلة الخيرة ، تحويل جميع الطاقات إلى الخير، وإلى بناء
الإنسان وبناء الملكوت .



الفصل الثالث

ما الذي
يقود إلهنا
في حياتنا

مَا الَّذِي يَقُودُ الْإِنْسَانَ فِي حَيَاتِهِ

في الإنسان طاقات كثيرة تتحكم في تصرفاته : منها العقل والروح والجسد والنفس والضمير والأعصاب والمواهب والقدرات والإمكانات .
والمفروض في الإنسان السوى أن تتعاون فيه كل الطاقات معاً ، بلا تعارض ولا تناقض .

وإن كان قد قيل في الرسالة إلى غلاطية أن " الجسد يشتهي ضد الروح ، والروح ضد الجسد . وهذان يقاوم أحدهما الآخر ، حتى تفعلون ما لا تريدون " (غل: ٥ : ١٦ ، ١٧) ..
فإن المقصود بهذا الإنسان الروحي المبتدئ في حياة الجهاد . ولكنه حينما ينتصر في جهاده ، لا يصبح في حياته صراع بين الجسد والروح ، بل يتعاون الإثنين معاً في عمل واحد لأجل الله .

العقل

قد يقول البعض إن الإنسان يقوده عقله ...
ولكن العقل ليس هو الموجه الوحيد للإنسان .
فالإنسان قد توجهه عوامل نفسية ، أو عوامل عصبية ، أو عوامل عاطفية .. ومن الجائز أن يوجهه الضمير . وقد يفكر العقل في إتجاهه ، ويكون ضميره في إتجاه آخر ..
والإنسان قد تقوده طباعه وتوجهه ..

وقد تكون هذه الطباع راسخة منذ الطفولة ، لا تتغير . وربما يعترف الشخص ويتناول ، ويصلى ويصوم ، ويقرأ ويتأمل . وتبقى طباعه كما هي ، أو يبقى مقوداً بعبادات

معينة تطغى عليه، أياً كان إتجاه عقله أو ضميره .

وقد يخطئ عقل الإنسان أحياناً في إرشاده وحكمه على الأمور ، كما يخطئ ضميره .
وفى ذلك قال الكتاب :

" توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة ، وعاقبتها طرق الموت " (أم ١٤ : ١٢) .

ومن أهمية هذه الحكمة ، كررها الكتاب مرة أخرى فى (أم ١٦ : ٢٥) . هذه الطريق المهلكة التى عاقبتها طرق الموت، يكون العقل بلاشك موافقاً عليها ، ويكون الضمير موافقاً عليها أيضاً، لأنها تبدو للإنسان مستقيمة .

إن سلك الإنسان حسب العقل ، فأى عقل هو؟ المفروض أن يكون عقلاً سليماً، لأن العقول تختلف فى نوعيتها .

قد يكون العقل أحياناً خادماً مطيعاً لرغبات النفس .

فإن أرادت النفس شيئاً ، تجد العقل يزودها بأدلة وبراهين وإثباتات . ومن الجائز أن يأتى لها بأدلة أخرى من الكتاب المقدس، يفسرها بطريقة تريح نفسه بل وتريح ضميره أيضاً .. وما أسهل أيضاً أن يذكر أقوالاً للآباء ربما قيلت فى مناسبة معينة ، ولكنه يقصها قصاً ويفصلها تفصيلاً لتناسب ما تريده نفسه . إن غضبت النفس يسير العقل فى تيارها ، وإن رضيت يسير أيضاً فى تيارها...!

لذلك فعقل الإنسان يحتاج إلى توعية .

هناك أشخاص عقولهم هو الذى يتعبهم ، كما أن عقل البعض يريحهم .

إنسان عقله يتعبه نتيجة لما يقدمه له هذا العقل من شكوك وظنون وأفكار، أو ما يقدمه له من مخاوف . أو نتيجة لأن عقله لا يفكر بطريقة سليمة، أو لا يضع فى إعتباره نتيجة ما يطرحه من أفكار .. عقله عبارة عن دوامة ، إن دخل فيها يغرق، ولا يقر له قرار ...
وعقل الإنسان قد يتعبه ، إذا كان فى طبعه شئ من التشاؤم أو القلق، أو تصور الضرر حيث لا يوجد ضرر، أو التفكير فى الضياع أو الموت أو المستقبل المظلم بغير ما سبب يدعو إلى ذلك.

هناك أشخاص يعمل عقولهم على تكبير المشاكل .

بحيث تأخذ حجماً أكثر من حجمها الطبيعى ، وبحيث تشكل خطورة موهومة .. أو أن عقولهم يخلط الأمور معاً، ويربط بين الأحداث وبعضها بطريقة تعقد الأمور وتسى إلى العلاقات ..! ويجمع بين أحداث مضت من زمن طويل، يضيف إليها تخوفات من مستقبل

معينة تطغى عليه، أياً كان إتجاه عقله أو ضميره .

وقد يخطئ عقل الإنسان أحياناً في إرشاده وحكمه على الأمور ، كما يخطئ ضميره .
وفى ذلك قال الكتاب :

" توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة ، وعاقبتها طرق الموت " (أم ١٤ : ١٢) .

ومن أهمية هذه الحكمة ، كررها الكتاب مرة أخرى فى (أم ١٦ : ٢٥) . هذه الطريق المهلكة التى عاقبتها طرق الموت، يكون العقل بلاشك موافقاً عليها ، ويكون الضمير موافقاً عليها أيضاً، لأنها تبدو للإنسان مستقيمة .

إن سلك الإنسان حسب العقل ، فأى عقل هو؟ المفروض أن يكون عقلاً سليماً، لأن العقول تختلف فى نوعيتها .

قد يكون العقل أحياناً خادماً مطيعاً لرغبات النفس .

فإن أرادت النفس شيئاً ، تجد العقل يزودها بأدلة وبراهين وإثباتات . ومن الجائز أن يأتى لها بأدلة أخرى من الكتاب المقدس، يفسرها بطريقة تريح نفسه بل وتريح ضميره أيضاً .. وما أسهل أيضاً أن يذكر أقوالاً للآباء ربما قيلت فى مناسبة معينة ، ولكنه يقصها قصاً ويفصلها تفصيلاً لتتناسب ما تريده نفسه . إن غضبت النفس يسير العقل فى تيارها ، وإن رضيت يسير أيضاً فى تيارها...!

لذلك فعقل الإنسان يحتاج إلى توعية .

هناك أشخاص عقلم هو الذى يتعبهم ، كما أن عقل البعض يريحهم .

إنسان عقله يتعبه نتيجة لما يقدمه له هذا العقل من شكوك وظنون وأفكار، أو ما يقدمه له من مخاوف . أو نتيجة لأن عقله لا يفكر بطريقة سليمة، أو لا يضع فى إعتباره نتيجة ما يطرحه من أفكار .. عقله عبارة عن دوامة ، إن دخل فيها يغرق، ولا يقر له قرار ... وعقل الإنسان قد يتعبه ، إذا كان فى طبعه شئ من التشاؤم أو القلق، أو تصور الضرر حيث لا يوجد ضرر، أو التفكير فى الضياع أو الموت أو المستقبل المظلم بغير ما سبب يدعو إلى ذلك.

هناك أشخاص يعمل عقلم على تكبير المشاكل .

بحيث تأخذ حجماً أكثر من حجمها الطبيعى ، وبحيث تشكّل خطورة موهومة .. أو أن عقلم يخلط الأمور معاً، ويربط بين الأحداث وبعضها بطريقة تعقد الأمور وتسى إلى العلاقات ...! ويجمع بين أحداث مضت من زمن طويل، يضيف إليها تخوفات من مستقبل

أجمل من اختها الكبرى .

وما أكثر ما يضع الناس أموالاً بسبب التقاليد المتبعة في حفلات الخطوبة والزواج ، أو في التقاليد الخاصة بالجنازات ، أو الأعياد.. إلخ . وقد ينصح العقل بغير ذلك ولا يستطيع لأنه خاضع للتقاليد ..

لهذا كله قال الكتاب " وعلى فهمك لا تعتمد " (أم ٣ : ٥) .

من أجل هذا أوجد الله المرشدين الروحانيين والقادة . وأصبح العقل محتاجاً أن يخضع إلى الإرشاد لقيادته .

الإرشاد

قد لا يستطيع الإنسان أن يخضع تماماً لفهمه الخاص في قيادته، ولا حتى لضميره ، لنقص في قدرة كل منهما ، أو لأنه يحاول أن يشكل عقله وضميره بالطريقة التي تريحه . فهو يحتاج إلى عقل آخر إلى جوار عقله غير خاضع للتأثيرات النفسية . كذلك يحتاج إلى ضمير صالح إلى جوار ضميره، إن كان ضميره ليس خالصاً في أحكامه . لذلك يقال: الذين بلا مرشد يسقطون مثل أوراق الشجر .

فالإرشاد لازم لإنقاذ الإنسان من خضوع عقله لرغباته ا
فالعقل ورغبات النفس يتعاونان بطريقة (شيتنى وأشيتك) .. فكل منهما يسند الآخر في الوصول إلى ما يريد .

والإنسان في أحيان كثيرة تقوده أعصابه :

الأعصاب

والأعصاب ليست مجرد مسألة عضوية Organic . إنما غالباً ما يدخل فيها العامل النفسى . فإذا تعبت النفس، قد تلتهب الأعصاب. وإذا التهبت الأعصاب تزيد النفس تعباً، وتصبح كل منهما سبباً ونتيجة .

وإذا إلتهبت الأعصاب ، قد تتولى قيادة الإنسان، وحينئذ توقف كل قوى العقل والضمير وتنفرد بالموقف .

وتصبح تصرفات الإنسان عشوائية بلا ضبط للنفس ..
وحينئذ تتدخل الروح ، إن أفسحوا لها مجالاً .. فتكون مثل مرهم يهدئ الأعصاب ،

ويقود العقل قيادة سليمة . فتهدأ النفس أيضاً، ويستيقظ الضمير ويوبخ صاحبه على تصرفاته العشوائية السابقة ...

الضمير

أى ضمير هذا الذى يقود الإنسان ؟

الكتاب المقدس يتحدث عن صفة خاصة للضمير ، هى (الضمير الصالح) .

(أع ٢٣ : ١) ، (اتى ١ : ٥ ، ١٩) (عب ١٣ : ١٨) .

ذلك لأنه قد يوجد ضمير غير صالح . ولذلك ما أجمل قول القديس بولس الرسول " أنا أيضاً أدرب نفسى ليكون لى دائماً ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس " (أع ٢٤ : ١٦) .
هناك ضمير واسع يبلع الجمل ، وضمير ضيق موسوس يصفى عن البعوضة (مت ٢٣ : ٢٤) . وكذلك كان الكتبة والفريسيون . أما الضمير الصالح فهو مثل ميزان الذهب فى دقته ووزنه للأمور . بل هو مثل ميزان الصيدلى الذى يعرف أنه إن أزداد يضر ، وإن نقص يضر .

الضمير الصالح هو الذى يستنير بإرشاد الروح القدس .

فهو لا يرشد الإنسان من ذاته ، ولا يعمل بمجرد معرفة بشرية، وإنما يرشده روح الله . ويكون أيضاً تحت إرشاد كلمة الله الصالحة وتعليمه الإلهى .
وأحياناً تقود الإنسان عواطفه وليس أعصابه .

العواطف

كثير من الناس تقودهم عواطفهم ومشاعرهم ، من حب أو كراهية، أو حسد وغيرها، أو بذل وتضحية .. وربما النساء تقودهم عواطفهم أكثر مما يقاد بها الرجال .
ولكن العواطف وحدها لا تكفى ، إذ ينبغى أن تمتزج بالعقل والحكمة .
عاطفة بلا عقل لا تكفى . وعقل بلا عاطفة لا يكفى . بل الإثنان يكمل أحدهما الآخر ، وهكذا وضع الله فى الأسرة الأب والأم يكملان بعضهما البعض .. العاطفة وحدها قد تقود إلى تدليل الأولاد . والحزم وحده قد يقود إلى الخشونة . ولكن إذا امتزجت العاطفة بالحزم توصل إلى لون من التكامل فى التربية . ويوجد أيضاً نوع من التوازن فى المعاملة . وهنا ننقل إلى نقطة أخرى وهى :

التوازن

الإسان السوى يقيم توازناً فى كل مشاعره وإنفعالاته وتصرفاته: توازناً بين العقل والعاطفة ، وتوازناً بين الأنا والآخر .

فإن فكر فى ذاته فقط ، دون أن يعمل حساباً للآخرين ، قد يصل إلى لون من الأثانية ، ويفشل كإنسان إجتماعى . وإذا فكر فى الآخرين فقط ، قد يتعب أخيراً ، ويصل إلى لون من التضجر والتذمر ، إن لم يكن بنزله ممتزجاً بقدر كبير من الحب ينسيه ذاته ، أو يركك حبه لذاته فى أديتها وليس فى الحياة على الأرض .
والإنسان السوى يوزع عواطفه بطريقة سوية .

فمثلاً يقيم توازناً بين المرح والكآبة فى حياته ، وبين الجدية والبساطة ، وبين العمل والترفيه . ويضع أمامه قول الكتاب " لكل شئ زمان ، ولكل أمر تحت السموات وقت .. للبقاء وقت ، وللضحك وقت .. للسكوت وقت ، وللتكلم وقت .. للحرب وقت ، وللصلح وقت " (جا ١ : ٨) .

والإنسان السوى يقيم أيضاً توازناً فى توزيع وقته :

يعطى وقتاً لعمله ، ووقتاً لراحته . وقتاً لاحتياجات الجسد ، ووقتاً للوسائط الروحية . وقتاً لمسئوليات الأسرة ، ووقتاً لمطالب الخدمة . وقتاً لعقله ومعرفته ، ووقتاً لعبادته ، ووقتاً للعمل الإجتماعى .. وكل مسئولية ملقاة عليه تأخذ نصيبها من الوقت .

يقيم توازناً بين المنح والمنع ، وبين الأخذ والعطاء .

ويقيم توازناً بين انفعالاته المتنوعة .

هناك أشخاص تفودهم فى الحياة : المعرفة .

المعرفة

فياخذون قيادتهم من الكتب وسائر المطبوعات . إنما هذا الأمر يتوقف على نوعية الكتب والمطبوعات التى يستقون منها معلوماتهم . وبالمثل ينطبق هذا على المعرفة التى يتلقونها من وسائل الإعلام المتعددة .

ولأهمية المعرفة فى الحياة ، قيل عن الخطاة إنهم جهلة .

فى مثل العذارى ، قيل " خمس منهن كن حكيما ، وخمس جاهلات " (مت ٢٥ : ٢) .

وقيل عن الملحدين " قال الجاهل في قلبه ليس إله " (مز ١٤ : ١) . وربما هذا الذي يصفه الكتاب بأنه جاهل يكون فيلسوفاً !!

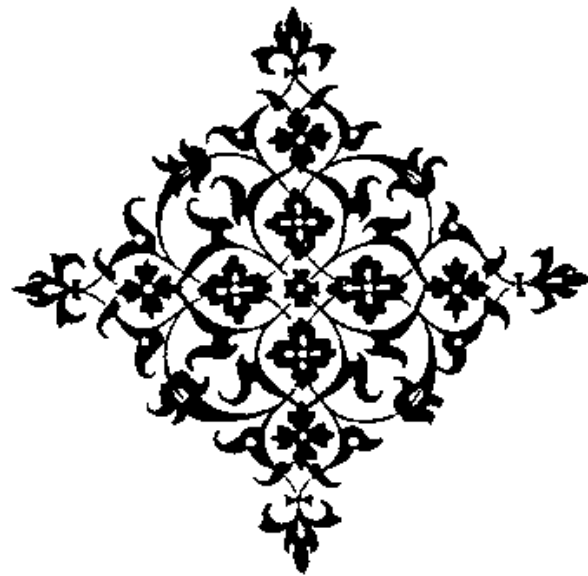
فالجاهل لا يدرك حقيقة وجود الله وقدسيته ، ولا يدرك قيمة ما يفعله هو ، ونتيجة ذلك ، وتأثير ذلك على أبعده . وقد يجهل أيضاً طبيعة نفسه وطبيعة الحروب التي يتعرض لها . ويجهل أو يتجاهل أن الله يراه في كل ما يعمل ويقول . . لكل ذلك قال الرب :
" هلك شعبي من عدم المعرفة " .

وعلاج ذلك هو المعرفة السليمة . لأن هناك معرفة خاطئة تضر . بقى أن نقول أن هناك قيادة أخرى إلهية .

القيادة الإلهية

هذا هو الوضع المثالي ، الذي يقول عنه الكتاب " لأن كل الذين ينقادون بروح الله ، أولئك هم أبناء الله " (رو ٨ : ١٤) .

روح الله يقود أرواحهم . وأرواحهم تقود أجسادهم وعقولهم .
ويكون الله هو الكل في الكل ، في حياتهم .



الفصل الرابع

العقل

إن كان العقل يقود الإنسان فما الذى يقود العقل؟

المعروف عند جميع الناس أن الإنسان مخلوق عاقل. وأنا أريد أن أناقش هذا الموضوع : إلى أى حد الإنسان مخلوق عاقل ؟
هل الإنسان عقل خالص صرف؟ أم أنه يخضع لمؤثرات كثيرة، تجعله أحياناً لا يتصرف بعقله كما ينبغي ؟

وسنعرض لكل هذه المؤثرات ونفحصها ...

١ - أول نقطة نناقشها هي نوع العقل :

أهو عقل ذكى ؟ أم عقل عبقرى؟ أم متوسط الذكاء؟ أم ضعيف الذكاء؟ أم غير ذكى على الإطلاق ؟

ذلك لأن عقليات الناس تتفاوت في نوعيتها ودرجاتها . وحسب التفاوت يختلف الفهم والتفكير والإستنتاج .

وتختلف أيضاً نوعية الذاكرة : هل هي مجرد ذاكرة جامعة وحافظة؟ أم حافظة ومرتبطة؟ أم ذاكرة فوتوغرافية ؟ وهل تسعفه في أى وقت، أم تخونه أحياناً ؟

كذلك ما نوع تفكيره ؟ هل هو تفكير شامل ؟ أم يتركز في زاوية واحدة ويهمل الباقي؟ وهل هو تفكير سطحي أو عميق؟ وما درجة عمقه؟

وعلى هذا القياس ، إلى أى حد نقول عن كل أحد أنه عاقل؟

ليس الناس على حد سواء ، حتى في فهمهم ، سواء فهم ما هو حادث، أو فهم ما ينبغي أن يحدث .. هناك شخص بالكاد يقود نفسه، وآخر يمكنه أن يقود غيره أيضاً . وثالث يحتاج إلى من يقوده .

٢ - وهناك من تتعبهم طريقة تفكيرهم . وقد تتعب غيرهم معهم أيضاً ...
إنسان قد يفكر فى مشكلة ، ويساعده عقله على حلها . وإنسان آخر تستقطبه المشكلة ،
وتستولى على عقله وكل تفكيره ، فى صحوه وفى نومه، وربما فى أحلامه أيضاً. ولا
تترك له فرصة ليفكر فى غيرها . وبهذا تفكيره فيها يتعبه ، ويقيناً يؤثر على أعصابه
ونفسيته ...

٣ - وقد يوجد إنسان يسيطر على عقله الشك :

يشك فى الأحداث وما تحوى . ويشك فى الناس وتصرفاتهم ونواياهم ... يشك فيما
يقال وما يسمع . ويشك فى قدرته على التصرف . ويشك فى المستقبل .
والشك يتعبه ويؤلمه ، وقد يجلب له الخوف والإضطراب ومع ذلك فعقله غير قادر أن
يخرج من دائرة هذا الشك! ومهما قيل له من تبرير يزيل هذا الشك، فإنه يشك فى هذا
التبرير أيضاً، ومدى صدقه، وما هو هدفه ...
وقد ينمو الشك عنده فيشمل كل شئ ، وكل أحد حتى أعز الأحباء ... ويصبح فريسة
للإشاعات وللظنون والأكاذيب ...

ومن أصعب الشكوك التى تصيب بعض العقول ، الشكوك الإيمانية :

مثل الشك فى الله عند الملحدين وأمثالهم ، والشك فى المعجزات عند بعض رجال
العلم. والشك فى الحياة الأخرى وفى قيامة الأجساد ، والشك فى الكتب المقدسة ، أو فى
بعض الحقائق الإيمانية والعقائدية والمسلمات ...
وإذا وصل العقل إلى هذا الحد من الشك ، ما أسهل أن يستلمه الشيطان ويلعب
به ...

ويزوده عدو الخير بأفكار وأفكار ، ويرشده إلى قراءات تزيد شكه، وإلى زملاء من
نفس النوع، يعمقون الأفكار التى تحاربه ويضيفون إليها ...

هل تظنون مثل هذا العقل عقلاً خالصاً ، بينما هو فى قيادة غيره !؟

٤ - العقل أيضاً يتأثر بالجهل :

سواء كان جهله نتيجة عدم معرفة ، أو نتيجة معرفة مضللة وصلت إليه، ونتيجة
لوقوعه فى الجهل، يتصرف تصرفات خاطئة. وإذ يجهل حقائق أى موضوع أو أى حدث،
تسيطر عليه بعض الظنون والأفكار التى ما أسهل أن تتعبه ..

يحتاج مثل هذا العقل إلى المعرفة الصادقة المقنعة، وإلى التوعية السليمة، وأحياناً إلى

العقاب المشبع بالحب والنية السليمة، لكشف الحقائق ...

وأصعب أنواع الجهل الذى يحارب العقل ، الجهل الذى يرفض المعرفة ...

أعنى العقل الذى يتمسك بجهله فى إصرار ، مقتنعاً بما عنده من أفكار، ويشك فى كل نوعية وكل شرح .. مثل هذا، ربما التجارب تصقله، أو النعمة تفقده، بتجديد ذهنه (رو: ١٢: ٣) . وعلى كلٍ كلما ينمو الإنسان فى المعرفة ، تتغير طريقة تفكيره ، على حسب نوع المعرفة التى تأتيه ...

٥ - هناك عقل يقوده مبدأ معين يؤمن به :

فهو يعيش داخل هذا المبدأ ، سواء كان سليماً أم خاطئاً .. ولا يحب أن يتحزح عنه ، بل يستمر حببياً فيه . ويشكل هذا المبدأ هيكلأ أساسياً لحياته ...

صدقونى ، حتى بالنسبة إلى كثير من الفلاسفة ، الذين يحكمهم العقل فرضاً، ينطبق عليهم المثل القائل بأن نقطة البدء فى الفلسفة أحياناً تكون غير فلسفية .. أى ربما يبدأون بعامل نفسانى معين، يبنون عليه كل فلسفتهم .

مثل كرة ألقيتها من على جبل : إن ألقيتها شرقاً ، تستمر بكل قوتها فى هذا الإتجاه الشرقى. وإن ألقيتها غرباً، تستمر فى هذا المجال الغربى بكل قوتها

٦ - نوع آخر من العقل يصيره أب أو معلم .

فهو منقاد إلى عقل آخر يسيّره كيفما يشاء ، سواء كان عقل أب بالجسد، أو أب روحانى، أو معلم أو مرشد .

وليست لديه فرصة أن يتصرف أو حتى يفكر . إلا داخل دائرة هذا المعلم وتفكيره وإرشاده . وتكاد شخصيته أن تكون مفقودة تماماً . وبخاصة لو كان هذا الأب أو المرشد شديداً فى سلطته ، يتطلب لونا من الطاعة العمياء ...

ويزيد هذا الإتياد العقلى الكامل ، إن كان عقل من يطيع مدفوعاً بثقة كاملة فيمن يطيعه . أو اعتقاده أنه سيهلك إن هو خرج عن حدود الطاعة ، أو إن اقتنع بأن مجرد المناقشة أو الحوار مع من يرشده، لونا من الكبرياء ...

هنا عقله لا يعمل ، إنما يطيع عقلاً آخر .

٧ - مثل هذا العقل قد تقوده أيضاً الأخبار أو الشائعات .

أو يقوده أى كتاب يقرؤه ، أو تأثير فيلم يراه فى السينما أو فى التلفزيون أو الفيديو .. لأن عقله قد تعود الإستسلام والخضوع لقيادة أخرى تؤثر عليه حتى لو كانت

الصحافة ، أو الأخبار التي يسمعونها من الناس ، أو أى شخص أقوى منه فكراً ومنطقاً ...
وقد يثبت بعد فترة كذب الشائعات ، أو عدم صحة الأخبار .. ولكن بعد أن تكون قد
تركت في نفسه أثراً ، ليس من السهولة أن يزول ...

أما العقل السليم القوي ، فهو يفحص وينطق .

كل ما يسمعه ، يفحصه ويحلله . ويقبل منه ما يقتنع به، ويرفض الباقي . أو يترك
بعض الأخبار الأخرى لمزيد من الدراسة والإستقصاء. ويمكنه أن ينتفع ببعض ما يقوله
الناس . ولكنه لا يسلم ذاته لهم تسليماً كاملاً . ولا يكون مثل بيغاء "عقله في أذنيه" .
بعض القيادات ما أسهل أن تضيعهم التقارير المضللة، وبخاصة لو تأثروا بها لدرجة
اتخاذ قرارات سريعة مبنية على باطل

وما أكثر ما انحلت عائلات ، نتيجة تصديق كل ما يقال .

٨ - والعقل قد تقوده الأعصاب أحياناً .

إن كان سريع التأثير ، سريع الإنفعال . ويفكر مدفوعاً بانفعالاته. شمشون أطاع دليلاً ،
لأن كثرة إلحاحها عليه ، كان ضاغطاً على أعصابه، التي دفعت عقله بلون من الضيق
والياس كشف فيه سره.

٩ - وكثيراً ما يخضع العقل لمؤثرات عائلية أو إجتماعية :

فكثيراً ما تستطيع زوجة أب أن تؤثر على عقله وفكره ، حتى يسئ معاملته إنه من
زوجته الأولى ، مصداقاً ما تصبه في أذنه من مؤثرات .

كذلك المجتمع كثيراً ما يترك تأثيره على عقول الناس . فيكون الإنسان في وسط
الجماعة متأثراً بفكر الجماعة وانفعالها . مثل تلميذ في مظاهرة، يردد كل ما يقوله زعماء
المظاهرة . فإذا قبض عليه وألقى في سجن، وجلس وحده ، حينئذ يفكر عقله بطريقة
أخرى، وقد يلوم نفسه على إندفاعه وراء المظاهرة ...

١٠ - يوجد عامل آخر يسميه البعض (غسيل المخ) .

وفيه يقع عقل تحت تأثيرات متوالية، وشكوك متعددة ، وضغوط فكرية، بحيث تقتلع
منه كل ما كان فيه، وتحشوه بفكر آخر جديد عليه .. ويخرج من هذه الدائرة التي حبسوا
عقله فيها . وإذا به يفكر بطريقة أخرى، عكس ما كان قبلاً. بل قد يتحمس للفكر الجديد
تماماً، الذي عاش فيه دون إتاحة فرصة للفكر الآخر أن يقيم توازناً مع ما يقع عليه من
ضغوط فكرية .

١١ - وقد تؤثر على العقل طوائف ومذاهب أخرى :

كإنسان يختلط فترة بمجموعة من الشيعيين ، تحول عقله إلى فكر شيوعي . أو يختلط بشهود يهوه فترة ، فيصبح واحداً منهم وداعية لهم . وكذلك نقرأ عن اختلطوا بالوجوديين ، أو بالهيزر والبيتلز ، وبطوائف أخرى متعددة . تركت تأثيرها على عقولهم ، فأصبحوا يفكرون بطريقة أخرى .

إنسان يخالط متشددين ، فيتحول إلى متشدد . أو يختلط بمستهترين ، فيتحول إلى مستهتر . يضيق فكره أو يتساهل ، حسب التأثير الواقع عليه .

١٢ - وقد تؤثر على العقل نوعية نفسيته :

فالإنسان صاحب النفسية الرقيقة الحساسة ، ما أسهل أن يتأثر تفكيره بأية كلمة تقال له ، ويصور له فكره أنها خطيرة وصعبة . والإنسان صاحب النفسية البسيطة ، كثيراً ما يتقبل عقله أموراً لا يمكن أن يصدقها متعمق باحث عن الحقيقة ...

١٣ - وقد يتأثر العقل بعاداته وطباعه :

تسيره العادة أو الطبع ، في أمور لا يقبلها العقل المعتزن ، بل ربما أكثر من هذا ، يبدأ العقل في تبرير تلك العادات وتلك الطباع ، وما يصدر عنها من سلوك . وقد يثق العقل بأن هذه العادة تضره ، ومع ذلك تنتصر العادة . لأن القيادة لا تكون وقتذاك في يد العقل ، وعلى رأى المثل "الطبع يغلب" .

هل بعد كل هذا نقول إن الإنسان مخلوق عاقل ، بمعنى أن العقل هو الذي يقوده؟ كلا .

١٤ - هناك عقل آخر يقوده الخوف :

الخوف يشل عقله عن التفكير ، ويقوده بنفسه ...

مثل أبينا آدم ، خاف فاختبأ من الله خلف الشجرة!! بينما العقل يقول إنه مهما إختبأ ، لابد أن يراه الله . ولكن الذي كان يقوده ، كان هو الخوف وليس العقل ...

وقد يقود الخوف هذا العقل ليشتغل لحسابه .

كان يخطئ إنسان ، ويخاف من نتائج أخطائه ، فيدفع العقل إلى تغطيتها بحيل أو أكاذيب أو إتهام غيره ظلماً ... كل ذلك ليستره ...

الإنسان الخائف لا تطمئن إلى سلامة تفكيره .

١٥ - عقل آخر تقوده الشهوة :

أية شهوة : شهوة جسد ، أو شهوة إنتقام ، أو شهوة مناصب أو ألقاب ، أو شهوة مال ،

أو شهوة عظيمة، أو شهرة .. وقد يضيع عقله في سبيل تحقيق هذه الشهوة ...
فالذى تسيره شهوة الإنتقام ، ترى كل عقله يفكر في كيف ينتقم، ولا يفكر مطلقاً في
عواقب ذلك، ولا في وصايا الله.. إنه محصور داخل هذه الشهوة ، تسيطر على كل
تفكيره ، وحدها ... وينفذ ويضيع ... لأن عقله لم يستطع أن يمنعه عن الجريمة .

١٦ - والعقل قد تقوده العاطفة .

هناك عاطفة تقود العقل ، وعاطفة بلا عقل . وهناك عقل بلا عاطفة، وعقل مترن له
عاطفة ولكنه يحكمها . أنواع أربعة ، وكل نوع يختلف عن الآخر .
فالعقل الذى تقوده العاطفة ، مثل الأم التى تمنع ابنها من السفر لفائدته، لأنها تريد به إلى
جوارها ، أو الأم التى تتدخل فى كل شئون ابنها الزوجة، بحكم عاطفتها، ولكن بلا عقل
فتتلف حياتها، وزواجها.

أو مثل تلميذ بسبب العاطفة ، يغشش زميلاً له فى الإمتحان ، فيقع الإنسان فى مسئولية
وتحقيق ، وقد يلغى إمتحانهما ...

إيزابل باسم العاطفة ، فكرت فى وسيلة لكى تريح زوجها، وتمكنه من إمتلاك حقل
نابوت اليزرعيلى. وكانت سبباً فى هلاكه وهلاكها . وسمح عقلها أن يغرق فى لجة من
الأخطاء الدينية والإنسانية .

١٧ - وهناك عقل يقوده الروح القدس :

حقاً إن العقل له قدرة على التفكير ، ولكن إذا ما استتار بالروح القدس، الذى يعرفه
بكل الحق .. حينئذ تكون أفكاره سليمة تماماً وروحية وموافقة لمشينة الله .

أصعب نوع من العقل ، هو الذى يعلن استقلاله عن الله .

ويسلك حسب فهمه البشرى ، الذى قال عنه الكتاب "لا تكن حكيماً فى عينى نفسك"
(أم: ٣: ٧) ، والذى قال أيضاً "وعلى فهمك لا تعتمد" (أم: ٣: ٥) . أما الذى يقوده روح الله،
فهو الذى يقول لله "لنكن مشينتك" .

١٨ - يشابه هذا العقل الروحى، من تقوده وصايا الله .

كما قال داود النبى "وصية الرب مشينة تنير العينين عن بعد" (مز ١٩) . وكما قال
"سراج لرجلى كلامك، ونور لسبيلى" (مز ١١٩) .

هذان النوعان الأخيران ، يمكن أن تقودهما الروح ، ويقودهما ضمير صالح أمام
الله... ضمير مستتير بالروح القدس أيضاً

العقل قد يخطئ ، وتترسب عليه عوامل تقفده الروية السليمة . وهنا نتأمل معاً قول
القديس بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية تغييروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم"
(رو ١٢ : ٢) . فما معنى :

تجديد الذهن

أهمية التجديد

في المعمودية نأخذ تجديد الطبيعة . أما تجديد الذهن، وتجديد أسلوب الحياة، فأمر
نحتاج إليه باستمرار في حياتنا . فلا يتحجر الإنسان على وضع معين .
تجديد الذهن ، معناه تغيير نظرة الإنسان إلى الأمور .

وما أكثر عبارة التجديد في المزامير وفي الكتاب . فنحن في كل صلاة نقول في
المزمور الخمسين "قلباً نقياً إخلق فيّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدد في أحشائي" . ونقول
في مزامير الساعة "سبحوا الرب تسبيحاً جديداً" .

وفي الوضع الجديد لنا في المسيحية يقول الكتاب "خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ،
ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة الله" (كو ٣ : ٩ ، ١٠) . لاحظوا هنا عبارتي
جديد، ويتجدد . ولكنه يتجدد للمعرفة . وهنا نفهم تجديد الذهن ، أي يأخذ معرفة جديدة لم
تكن له .

وهذا التجديد في المعرفة ، تصحبه قوة جديدة للتنفيذ . إذ يقول الكتاب "وأما منتظرو
الرب، فيجددون قوة . يرفعون أجنحة كالنسور . يركضون ولا يتعبون ومشون ولا يعيون"
(أش ٤٠ : ٣١) .

إن الله يريد أن يكون لنا عنصر الجدة في حياتنا . لذلك يقول لنا في سفر حزقيال النبي
"أعطيكم قلباً جديداً، وأضع روحاً جديدة في داخلكم" (حز ٣٦ : ٢٦) . وهنا نسأل ما معنى
تجديد الذهن ؟

الإنسان يخطئ ، لأن فكره يقوده إلى الخطية . لذلك فإن الله يريد للإنسان أن تتغير

نظرته إلى الأمور .



وتأخذ كمثال : نظرة الإنسان إلى الجسد :

هل تفكير ذهنه في الجسد ، أن الجسد هو للمتعة واللذة؟ سواء كانت المتعة في الأكل والشرب والملبس، أو في الممارسات الجنسية أو الزنا، أو في الشعور بجمال الجسد أو قوته .. إن كان الأمر كذلك ، فسوف يخطئ .

وهنا ينصح الرسول بتجديد ذهنه، أي أن يأخذ فكره شكلاً جديداً .

وفي تجديده ، ينظر إلى الجسد كهيكل لله :

باعتباره أنه هيكل للروح القدس ، والروح القدس يحل فيه (١كو٦ : ١٩) . إذا تجدد ذهنك، حينئذ ينظر إلى الجسد كمجرد وعاء للروح، سواء روحه الإنسانية أو روح الله الساكن فيه. وحينئذ يمكنه عن طريق الجسد أن يمجد الله، كما قال الرسول:

" مجدوا الله في أجسادكم، وفي أرواحكم، التي هي لله " (١كو٦ : ٢٠) .

وهنا على الإنسان باستمرار أن يمجد الله في الجسد وبالجسد . ولعل هذا يتم إن كان الجسد يسير مع الروح في طريق واحد . أما إن كان هناك صراع بين الجسد والروح (غل٥ : ١٧) . فهذا يدل على أنه لا يزال في المفهوم القديم للجسد من حيث أنه جهاز للمتعة، ويحتاج أن يغير فكرته هذه .

لأنه حتى لو انتصر على شهوة الجسد، وهو بهذا الوضع ، يكون قد امتنع عن ارتكاب الخطية، وهو لا يزال يحبها. أما في تجديد الذهن، فهو ينتصر على الخطية لأنه قد ارتفع فوق مستواها. ولا يحتاج إلى جهد للخلاص منها .



وعندما يتجدد ذهنه، لا ينظر فقط إلى جسده بهذه النظرة ، إنما ينظر هكذا أيضاً إلى أجساد الآخرين . فإن نظر إلى امرأة، لا يشتهيها في قلبه (مت٥ : ٢٨) . ذلك لأن جسدها - في مفهومه الروحي - هو هيكل للروح القدس ، له سمة القداسة وبخاصة في حالة تناولها من الأسرار المقدسة .

بتجديد ذهنه ، ينظر إليها كإينة لله، لها احترامها ، تتال منه كل توقير، بعيداً عن النجاسة والفساد . ولا يلزم المرأة أن تتغطى من قمة رأسها إلى كعب قدميها، لكي ينجو هو من الشهوة الكائنة في قلبه.. طبعاً الحشمة لازمة ولكن :

بتجديد ذهنه ينجو من الشهوة ، من الداخل .

بدون وسائل خارجية تلجم شهوته . وهو مجرد لجام من الخارج! وهكذا - فى تجديد ذهنه - لا يقول إن هذه المرأة تعثرنى. إنما يقول : إن ما كان يعثرنى - قبل تجديد ذهنى - هو شهوات قلبى الداخلية ، بسبب مرض ذهنى وسوء تفكيره .

الذى تجدد ذهنه ينظر إلى الجسد نظرة سامية، كخادم لعمل الروح، لعمل البر . به يركع ويسجد ويصلى. وبه يخدم ويتعب فى الخدمة. بل يقدم الجسد ذبيحة مرضية لله (روا: ١٢: ١). وهكذا نرى أن الشهداء والمعترفين قدموا أجسادهم لله ذبيحة مقدسة ، ولم يكن الأكم عائقاً لهم .

بتجديد ذهنهم لم يخافوا الموت، بل رأوا أن الموت هو الوسيلة التى توصلهم إلى المسيح .

هذا الذهن الجديد هو الذى منح الشهداء شجاعة فى مواجهة الحكام الوثنيين، وشجاعة فى تحمل الآلام، ناظرين إلى الأكم كإكليل فوق رؤوسهم . وبهذا الذهن الجديد كانوا يسبحون ويرتلون وهم فى طريق الإستشهاد.. وبهذا المفهوم لما أراد أهل رومه أن ينقذوا القديس أغناطيوس الأنطاكي من إلقائه إلى الأسود الجائعة، عاتبهم على ذلك بقوله "أخشى أن محبتكم تسبب لى ضرراً. وقد وصلت إلى نهاية المطاف ..".

✱ ✱ ✱

نفس الوضع بالنسبة إلى الصوم ، فالإنسان الروحى الذى تجدد ذهنه ، لا يبذل جهداً فى الإنتصار على لذة الطعام، لماذا؟

لأنه وصل إلى الجسد الزاهد، وليس إلى مجرد الجسد الصائم.

لقد تغيرت نظرتة إلى الأكل والطعام. ورأى أنه فى الصوم يشعر بإنتلاق روحه بغير عائق من الجسد .. ارتفع فوق مستوى الماديات ، ولم تعد الماديات تغريه .. ويتطور متقدماً فى الوصول إلى روحانية الجسد ...

طبعاً الجسد الروحانى نلبسه فى القيامة (١كو١٥ : ٤٤) .

ولكنه يقترب من هذه الروحانية ، بقدر ما تحتمل طبيعته .

✱ ✱ ✱

نتحدث عن تجديد الذهن أيضاً ، من جهة الطموحات والآمال .

حسب هدف الإنسان ، هكذا تكون وسائله .

فإن كان الإنسان ينظر بنظرة عالمية إلى العلو والعظمة والكرامة، وإلى النجاح والطموح ، فكهذا تكون تصرفاته .

الإنسان الروحي - الذى تجدد ذهنه - ينظر إلى الطموح نظرة روحية ، فيها يرجع إلى الصورة الإلهية التى خُلق بها منذ البدء. بحيث يرى العظمة الحقيقية ، أنه يعيش بلا خطية. كما قال الرسول إن المولود من الله لا يخطئ، والشريـر لا يمسه . ولا يستطيع أن يخطئ ، لأنه مولود من الله (١ يوحنا : ٣ : ٩) (١ يوحنا : ٥ : ١٨) . فى تجديد ذهنه يقول : كيف اهبط بمستواى إلى وضع الخطية؟! "كيف أفعل هذا الشر العظيم، وأخطئ إلى الله" (تك ٣٩ : ٩) .
ومن جهة النجاح والتفوق ، للذهن المتجدد رؤية أخرى .

فهو لا يخلط النجاح بالذات ، إنما بالوصية الإلهية. إنه لا يجعل النجاح مجرد وسيلة ، ليرضى عن نفسه ، ولكى تكون صورته مضيئة أمام الناس. إنما ينجح لأن أولاد الله ينبغي أن يكونون دائماً ناجحين. ليرضى الرب عنهم. وأيضاً يكونوا ناجحين، لأن الرب معهم وهو سبب نجاحهم .

والتفوق فى نظره ، هو تفوق فى النوعية ، وليس مجرد تفوق على الغير .
فحتى لو تفوق على غيره ، وكان الأول فى الترتيب ، ومع ذلك لم يصل إلى المستوى العالى، فإن هذا لا يرضيه . وفى داخله يشعر بالتقصير.. إنها فى نظره ليست منافسة مع الغير، يصير فيها الأول. إنما هو جهاد للوصول إلى الكمال ، بكل ما تستطيع طاقته أن تصل إليه .

ومن جهة العظمة ، لا يهدف أن يكون عظيماً أمام الناس .
إنما كما كان المعمدان "عظيماً أمام الله" (لوقا : ١٥ : ١٥) .
هيرودس الملك كان عظيماً أمام الناس ، عظمته فيها كبرياء، ويعطى فيها مجداً لله. لذلك سمح الله أن يضربه الملاك، فأكله الدود ومات (أع ١٢ : ٢١ - ٢٣) . أما يوحنا المعمدان، فكان سر عظمته، أنه من بطن أمه كان مملوءاً من الروح القدس. وأمام الناس كان يقول عن السيد المسيح "ينبغي أن ذاك يزيد ، وأنى أنا أنقص" (يوحنا : ٣ : ٣٠) "أنا لست مستحقاً أن أحل سيور حذائه" (لوقا : ٣ : ١٦) .

فما هو نوع العظمة الذى يدور فى ذهنك ؟

هل هو الكرامة العالمية فى البحث عن مديح الناس؟! أم هى كرامة الإلتضاع كما قال الرب: من يضع نفسه يرتفع.. استمع إذن إلى قول القديس أنطونيوس الكبير: من سعى وراء الكرامة، هربت منه. ومن هرب منها بمعرفة ، سعت وراءه، وأرشدت الناس إليه..

✱ ✱ ✱

إذا تجدد ذهن الإنسان ، يركز نظره في الأبدية، أكثر مما ينظر إلى العالم الحاضر .
وذلك حسبما قال الرسول "غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى ، بل إلى التي لا تُرى.
لأن التي تُرى وقتية. وأما التي لا تُرى فأبدية" (٢كو٤: ١٨).

إنه لا يفعل مثل الغنى الغبى ، الذى ركز فى خيارات العالم الحاضر، وكيف أنه سيهدم
مخازنه ويبنى أعظم منها ويقول لك يا نفسى خيارات كثيرة موضوعة لسنين عديدة
(لو١٢: ١٩). فجاءه الصوت الإلهى "يا غبى. فى هذه الليلة تؤخذ نفسك منك. فهذه التي
أعدتها لمن تكون؟!".

الذى يركز فى الأرضيات ، تزعجه الضيقة .

فإن تجدد ذهنه ، يفرح بالضيقات .

بنظرته الجديدة يرى فى الضيقات بركات عديدة . كما قال الرسول "أحسبوه كل فرح
يا أخوتى ، حينما تقعون فى تجارب متنوعة.." (يع١: ٢) . وهكذا يأخذ من الضيقة
فضائل الصبر والإحتمال، وبركة الآلام وأكاليها . ولذلك قال القديس الأنبا بولا السائح:
"من هرب من الضيقة ، هرب من الله" . وبهذا أوصانا الله أن ندخل من الباب الضيق
الذى يؤدى إلى الحياة (مت٧: ١٣، ١٤)

✱ ✱ ✱

الإنسان الذى تجدد ذهنه ، يجدد وسائله .

ربما فيها شرّ يقظنه خيراً .

ربما فيما ينشر الخير ، أو ما يقظنه خيراً ، يلجأ إلى وسائل خاطئة مثل العنف والقسوة،
أو الإذانة ومسك سيرة الناس . ربما ينظر باستمرار إلى القذى التى فى عين أخيه ، ناسياً
الخشبة التى فى عينيه ...

فإن تجدد ذهنه ، يعالج الأمور فى وداعة وفى رحمة وفى إتضاع وحب. وفى ذلك
قال الرسول "أيها الأخوة إن اتسيق إنسان فأخذ فى زلة، فاصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا
بروح الوداعة، ناظراً إلى نفسك لتلا تجرب أنت أيضاً . احملوا بعضكم بعضاً أقال
بعض" (غل٦: ١، ٢) .

الفصل الخامس

الضمير

ضمير الإنسان والعوامل المؤثرة عليه

الضمير يمكن أن يخطئ

الضمير ليس صوت الله في الإنسان، لأن الضمير يمكن أن يخطئ . وأن ينحرف .
وصوت الله لا يمكن أن يخطئ .

الضمير داخل الإنسان كالعقل والروح . فالعقل يمكن أن يخطئ، وكذلك الروح وكذلك
الضمير . الضمير كأي جهاز من أجهزة الإنسان ، يمكن أن يضعف وان يقوى: يمكن أن
يستتير بالروح القدس وبأقوال الآباء والوعظ والتعليم وبالحياة الروحية.. كما أنه يمكن أن
يضعف وأن ينام ، وتطغى عليه المصلحة، وتطغى عليه الإرادة .

ما أسهل أن يخل الضمير ، وتتغير أحكامه، وتتقلب موازينه، كالمدرس الذي يدفعه
ضميره إلى تغشيش تلميذ، أو كالطبيب الذي شفقة على امرأة يجهضها، أو يعمل عملية
ليستر فتاة فقدت بكارتها، أو يكتب شهادة مرضية لغير مريض ليساعده. أو كالأم التي
تستر على أولادها لكي تتقدم من عقوبة أبيهم، فتغطي أخطاءهم بأكاذيب.

والعجيب في كل هؤلاء أن ضمائرهم لا تتعبهم ولا تبكتهم . بل على العكس يشعرون
أنهم عملوا شيئاً حسناً ، يفرح قلوبهم ...

إن عدم تبكيت الضمير على الخطأ، يدل على خلل فيه، أما كونه يفرح بالخطأ ، فهذا
يدل على إنقلاب في كل موازينه .

إن الضمير يمكن أن يتشكل حسب مبادئ الإنسان ومثالياته. ويتغير تبعاً لتغير هذه
المثاليات . لهذا لا يكون حكمه سليماً باستمرار، ولهذا تختلف وتتوعد ضمائر الناس، فما

يراه لخدمهم صواباً يراه غيره شراً، والعكس بالعكس .

وتوجد أمثلة كثيرة تظهر إمكانية خطأ الضمير وإحرافه .

قال السيد المسيح لتلاميذه ، تأتي ساعة .. يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله" (يو ١٦ : ٢) . ولاشك أن الضمائر التي تظن أن قتل الرسل خدمة لله، هي ضمائر منحرفة.

مثال ذلك أيضاً أباطرة الرومان الذين كانوا يخرون أمام أصنام آلهتهم قبل محاربة أعدائهم ، ويقتلون من يرفض ذلك، وضميرهم مستريح. وبهذا السبب استشهد القديس

موريتيوس قائد الكتيبة الطيبية، لأنه رفض التبخير أمام الأصنام ، وقتلت معه كتيبته !!

مثال ذلك أيضاً أهل الجاهلية الذين وقعوا في واد البنات، وأيضاً الناس الذين يوزعون السجائر في الجنازات على ضيوفهم، وضميرهم يتعجبهم إذا لم يقدموها !! وكذلك أيضاً

الذين يستخدمون الميكروفونات بطريقة تتعب الناس، وتؤذى المريض، وتعطل الطالب عن مذاكرته، وترجع النائم المحتاج إلى راحة ...

كذلك المصريون القدماء الذين كانوا يلقون فتاة جميلة في النيل لاسترضائه ليأتي الماء

في مناسبة وفاء النيل .

إن الضمير قاض يحب الخير، ولكنه ليس معصوماً من الخطأ.

كما أن الخير يختلف مفهومه عند كثيرين، والضمير أيضاً يقع تحت تأثيرات كثيرة . نذكر في مقدمتها نوع المعرفة، والشهوات والعاطفة والإثارة، وتأثير الجماعة ، وتأثير

القادة، وكذلك الإرادة في قوتها أو ضعفها .

الضمير موجود قبل الشريعة المكتوبة .

به أصبح قايين مداناً أو مستحقاً للعقوبة (تك ٤) . قبل أن توجد وصية تقول "لا تقتل" . وبه ترفع يوسف الصديق عن خطية الزنا بقوله "كيف أفعل هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله" (تك ٣٩ : ٩) .

وبالضمير وجد في العالم للوثى فلاسفة يدعون إلى الخير والفضيلة، دون أن تكون لديهم شريعة إلهية. وعنه قال للكتاب "إن الأمم الذين بلا ناموس هم ناموس لأنفسهم" (رو ٢ : ١٤) ...

ولكن لاختلاف معرفة الناس، واختلاف عقوليتهم ونفسياتهم، لذلك تختلف الضمائر.

هناك ضمير صالح ، مثل ميزان الصيدلي : الزيادة فيه تضر، والنقص يضر. وهناك

ضمير فريسي يهتم بالحرف لا بالروح. وضمير آخر منحرف. وضمير لا يبالي .. وقد

يوجد إنسان له ضميران: واحد يحكم به على غيره بكل عنف وقسوة. وواحد يحكم به على نفسه بكل رقة ومجاملة !
وضمير تؤثر عليه العقائد والتقاليد .

فعابد الوثن إذا لم يبخر أمام الوثن ويسجد، يتعبه ضميره. وفي بعض البلاد إذا لم يقتل الأب ابنته التي فقدت بكوريتها، يثور عليه ضميره لأنه لم يغسل شرف الأسرة من العار. وكذلك أيضاً الابن الذي لم ينتقم لمقتل أبيه بقتل قاتليه .

هناك ضمير واسع يبلغ الجمل ، وضمير ضيق يصفي عن البهوضة .

الضمير الواسع يمكن أن يجد تبريراً لأخطاء كثيرة . أما الضمير الضيق فهو ضمير موسوس، يظن الشر حيث لا يوجد شر، ويضخم من قيمة الأخطاء، ويقع في (عقدة الذنب) ويرى نفسه مسئولاً عن أمور لا علاقة له بها إطلاقاً، وتملكه الكآبة أحياناً واليأس، ويظن أنه لا فائدة من كل جهاده، وأنه هالك ، وقد وقع في التجديف على الروح القدس .

الضمير تؤثر عليه الرغبات

الرغبات والعواطف ، حياً كانت أم كرهاً، تؤثر على الضمير في أحكامه وفي سلوكه ، إذ يندر أن يوجد من يحكم في شيء حكماً مجرداً تماماً من الرغبات ومن العواطف .
يقع إنسان في مشكلة ، يرى أنها لا تحل إلا بالكذب .

فتراه يسمى الكذب ذكاءً أو دهاءً، وإن أدان تصرفه ، فإنه يخفف حكمه عليه جداً، ويلتمس له ألف عذر، ولا يشتد بنفس الشدة التي يحكم بها على تصرفات الآخرين .. وقد يسمى بعض الكذب بالكذب الأبيض ، أو يسميه مزاحاً ...

وقد يجب إنساناً فيدافع عن كل تصرفاته، مهما كانت خاطئة .

دون أن يتعبه ضميره ، بل يتعبه ضميره إن لم يدافع ! ويسمى هذا الدفاع الخاطئ لوناً من الوفاء أو الواجب . وربما يدعو غيره أن يسلك مسلكه ، ويتكلم بحماس شديد ، وإنفعال ، يتعطل معهما عمل الضمير ، وينسى قول الكتاب :

"ميرئ المذنب، ومذنب البرئ، كلاهما مكرهة للرب" (أم ١٧ : ١٥) .

إن الذي يبرر المذنب، هو إنسان ضد الحق، وضد العدل. ولا يستطيع أن يعتذر عن هذا، بالعطف أو الرحمة.. إذ يمكنه أن يعترف بأن هناك ننبأ ، ثم يطلب لهذا المذنب العطف والرحمة . أما تبرئة المذنب ، فهي إختلال في الضمير ...

والعواطف قد تتدخل فى إحكام الضمائر وتكوينها .

فالذى يحب إنساناً ، قد يكذب ويبالغ فى مديحه ، وهو مستريح القلب، وقد يكذب كثيراً لإتقاده من ورطة، وضميره المريض يشجعه ، على إعتبار أنه يؤدي خدمة لصديق .. وبالتالي ما أسهل أن يقع كثيرون فى مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) . وتقبل ضمائرهم وسائل كثيرة خاطئة، بحجة أن الغرض نبيل

الضمير قد يمرض من جهة أحكامه ، ومن جهة عواطفه، فلا يكت فى حالات تستحق التبكيت ، أو يوبخ بأسلوب هادئ جداً فى أمور خطيرة . وقد قال البعض " إن الضمير قاضٍ عادل، ولكنه ضعيف، وضعفه واقف فى سبيل تنفيذ أحكامه" . ولكن الصعوبة الكبرى أن يكون الضمير ضعيفاً ، وفى نفس الوقت يكون أيضاً غير عادل .
لذلك لا تعتمد على ضميرك وحده ، بل إلجأ إلى تحكيم ضمائر أخرى سليمة ومحايدة، بعيدة عن تأثير الأغراض والبيئة والقيادة ..

فالإرشاد الروحي هو ضمير سليم محب ، يقوم مسيرة ضمير المعترف، وكما قال الكتاب "هناك طريق تبدو للإنسان مستقيمة ، وعاقبتها طرق الموت "

المعرفة تؤثر على الضمير

المعرفة السليمة تجعل الضمير يستتير بالفهم ، لأنه ما أكثر الذين يخطئون عن جهل ، وإذا عرفوا يمتنعون عن الخطأ .

شاؤل الطرسوسى كان أحد الأتقياء الذين أخطأوا عن جهل ..
ولذلك نراه يقول ، أنا الذى لست مستحقاً أن أدعى رسولاً لأنى أضطهدت كنيسة الله ، ولكنى رحمت ، لأنى فعلت ذلك بجهل" (اتى ١ : ١٣) . ولكن الجهل لا يمنع من أن الخطية خطية .

ونحن نصلى فى الثلاثة تقديسات ونطلب من الله أن يصفح لنا عن خطايانا التى فعلناها بمعرفة، والتى فعلناها بغير معرفة، وفى العهد القديم كان الذى يفعل خطية سهواً (بجهل): إذا أظلموه بها، يقدم عنها ذبيحة لإثمه لتغفر له (لا٤) .

ما أعمق قول الرب "هلك شعبي من عدم المعرفة" (هو٤ : ٦) .

لهذا أرسل الرب الأنبياء والرسل والمعلمين والكهنة والمرشدين، لكي يعرفوا الناس طريقه، لأن ضمائرهم لم تعد كافية لإرشادهم، أو لأن ضمائرهم قادتهم فى طريق خاطئة.

والكتاب المقدس أيضاً ، هو لإثارة الضمير ، ولهذا قال داود "لو لم تكن شريعتك هي تلاوتي، لهلكت حينئذ في مذلتى" (مز ١١٩) .

ولأن ضمير الإنسان قد لا يكون كافياً لإرشاده الروحي، أوجد الله آباء الإعراف والمرشدين الروحيين، لأنه هناك طريق تبدو للإنسان مستقيمة، وعاقبتها طرق الموت" (أم ١٤: ١٢) .

كما أن الشيطان قد يحاول أن يتدخل لكي يرشد الإنسان إلى طريق منحرف، كما فعل مع أمنا حواء في القديم .

المعرفة إذن تؤثر في الضمير ، صالحة كانت أم خاطئة .

المعارف الخاطئة يمكن أن تفقد الضمير أيضاً . ألم تكن الفلسفة الأبيقورية المبنية على اللذة تفقد ضمائر تابعيها؟ وكذلك الفلسفات الإلحادية . ألم تؤثر على ضمائر من اعتقها، وتحرفه عن طريق الإيمان كله وتؤثر على سلوكه؟

الذين يعترفون بخطاياهم تأثرت ضمائرهم بالإيمان السليم الذي تعلموه والذين يرفضون الإعراف من بعض المذاهب تأثروا هم أيضاً بالمعرفة التي تلقوها ضد الإعراف .

هناك معلمون يدعون تلاميذهم إلى الجدية الكاملة ، وعدم الضحك إطلاقاً، لأنه "بكتابة الوجه يصلح القلب" (جا ٧: ٣) . ومعلمون آخرون يدعون تلاميذهم إلى البشاشة وحياء الفرح، لأنه "للبيكاء وقت وللضحك وقت" (جا ٣: ٤) . وحسب نوع المعرفة، يتأثر الضمير . هناك من يقولون إن تحديد النسل خاطئ، فيتعب ضمير من يحدد نسله، وآخرون يقولون إنه محلل، فيستريح الضمير بذلك ...

لكل هذا ، ينبغي وجود وحدة في التعليم في الكنيسة ، حتى لا تتبلبل ضمائر الناس بما نسمعه من تعاليم متناقضة ...

ولهذا قام التعليم في الكنيسة على التسليم ، لكي يحتفظ التعليم بنقاوته ، وليحتفظ بوحده . فقال بولس الرسول "تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً" (١كو ١١: ٢٣) . وقال لتلميذه تيموثاوس "وما تسلمته مني بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء.." (٢تي ٢: ٢) .

المعرفة تفقد الضمير ، لذلك اشترط في الأسقف أن يكون صالحاً للتعليم (٢تي ٣: ٢) . ولذلك أيضاً وبخ السيد المسيح الكتبة والفريسيين لأن تعليمهم كان يضلل ضمائر الناس . ولهذا أيضاً تكلم الكتاب عن "معلمين وأنبياء كذبة" (مت ٧: ١٥) . وقال لإسرائيل "مرشدوك مضلون" (أش ٣: ١٢) (أش ٩: ١٦) .

إن ضمائر الناس تتأثر بمعرفة ما هو الخير والشر، وتتأثر أيضاً من جهة الإيمان بالمعلومات العقائدية .

وربما تكون المعرفة من الكتب ، والنبذات، أو من الاجتماعات. ولهذا يحسن أن يدقق الشخص في الكتب التي يطلع عليها، وفي نوعية الاجتماعات التي يحضرها .. بل في كل ما يقرأ ...

تأثر الضمير بالجماعة

في وسط الجماعة يتأثر الإنسان بالإفعال وبضمير الجماعة . وقد يقترف أمراً ، إذا خلا إلى نفسه ، يوبخه ضميره عليه .

مثل شاب يندفع في مظاهرة يهتف ويخرب، فإذا قبض عليه، والقي في السجن، فإنه وهو وحده في هدوء السجن، يفكر بطريقة أخرى غير هتافه وسط الجماعة ، وأيضاً قد يعبت شاب ويلهو وسط جماعة من أصدقائه، دون أن يصحو ضميره أو يوبخه، فإن خلا إلى نفسه وبخه .

في وسط الجماعة صاحبت جموع اليهود "أصلبه ، أصلبه" (يو ١٩ : ١٥ ، ١٦) . مخالفين ضمائرهم، أو إنسياقاً دون دراية بخطورة ما يفعلون. ولذلك قال الرب على الصليب "يا أبتاه اغفر لهم، لأنهم لا يعرفون ماذا يفعلون" (لو ٢٣ : ٣٤) . لأن ضميرهم تعطله دوامة الجماعة .

وفي وسط الجماعة ، قد تقود الضمير الشائعات والإثارات، وقد يصدق ما يقولون ويتصرف متأثراً بما سمعه .

إن مريم المجدلية مثال واضح لتأثير الجماعة على الضمير . لقد رأت المسيح . وأمسكته بقدميه، وسجدت له (مت ٢٨ : ٩) . وسمعت منه قوله "إذهبى وقولى لأخوتى أن يمضوا إلى الجليل، هناك يروننى" (مت ٢٨ : ١٠) . ومع ذلك لما اندمجت وسط الجماعة ، وسمعت الشائعات التي نشرها الكهنة عن سرقة الجسد المقدس، ذهبت إلى بطرس ويوحنا وقالت لهما أخذوا سيدي، ولست أعلم أين وضعوه، وقالت نفس الكلام للملاك (يو ٢٠) .

الضمير قد يتشجع إذا أثرت عليه جماعة صالحة ، وقادته إلى الخير . ولكنه قد يتراخى وينام في وسط جماعة خاطئة ، أو قد تتغير مبادئه . ويحكم على الأمور حكماً

مختلفا . وهذا ما نلاحظه في بعض من يتركون بلادهم لمدة طويلة .
ولهذا فإننا نرى ضمائر السواح والمتوحدين ، تختلف إختلافاً كبيراً عن ضمائر
العلمانيين ، في حساسيتها ، وأحكامها ، واستنارتها ، بل قد تختلف عن ضمائر كثير من
رهبان المجامع .

على أن هناك ضمائر قوية ، قد لا يطغى عليها تيار المجتمع، وإنما هي التي تؤثر
فيه . مثال ذلك الأنبياء والمصلحون .

إنهم لم يتأثروا بفساد جيلهم ، بل تولوا قيادته ، وغيروه إلى أفضل . ولكن ليس كل
إنسان أقوى من الجماعة ... هؤلاء الأقوياء يتصفون بالصلابة والصمود وعدم الإنقياد .
إنهم يذكرونني بالجنادل الستة التي إعترضت مجرى النيل ، ولم تؤثر فيها كل تياراته
ومياهه وأمواجه مدى آلاف السنين .

الضمير يتأثر بالقادة

الضمير أيضاً يتأثر بالقادة والمرشدين والمعلمين والأشخاص المشهورين والآباء .
وكثيراً ما نجد إنساناً صورة طبق الأصل من أبيه الروحي أو الجسدي، في أسلوبه، في
أفكاره، في طباعه ، بل حتى في حركاته. يعتنق كل مبادئه ، ويتأثر بها ضميره ، وتصير
جزءاً من طبيعته ، وبخاصة بالنسبة إلى المبتدئين ، والذين في فترة تكوين مثاليتهم.

الضمير والإرادة

والضمير في طريقه ، قد يصطدم بأمر عديدة أولها الإرادة .
فإذا مالت الإرادة نحو الخطية ، وأرادت تنفيذها ، وحاول الضمير منعها ، فإنها تعمل
على إسكات هذا للضمير أو الهروب من صوته . ويقوم صراع بين الضمير والإرادة :
إما أن ينتصر فيه الضمير ، وإما أن تنتصر فيه الإرادة وتنفذ الخطأ .
إن الضمير هو مجرد صوت يوجه الإرادة نحو الخير ، ويبعدها عن الشر ، ولكنه لا
يملك أن يرغمها.

يكفى أن يكون مجرد صوت ، يصيح باستمرار في عقل الإنسان وفي قلبه : إن هذا
الأمر خطأ ، فيشهد للحق ...

يوحنا المعمدان لم يرغم هيرودس على الخير ، بل كان مجرد صوت يصيح في

وجهه، إنه لا يحل لك أن تأخذ امرأة أخيك زوجة . ولم يسمع هيرودس للمعمدان ، ولكن ذلك النبي العظيم بقى ضميراً للشعب كله ، يصيح في وجه الملك الفاسد : لا يحل لك .

والإرادة قد تحاول إسكات الضمير ، بحجة سلامها النفسى !!

إنها لا تريد أن يكون هذا الضمير سبباً فى تعكير صفوها الداخلى، فيفقدوها سلامها ويتعب نفسيته . لذلك تسكته .

هذه الإرادة المريضة يهملها راحة النفس ، وليس راحة الروح ، فالروح تستريح فى طاعة الرب وفى نقاوة القلب، وترحب فى هذا بالتوبيخ ، عكس النفس التى يتعبها التوبيخ..

وقد تهرب الإرادة من الضمير ، ولا تعطيه فرصة ...

تهرب من محاسبة النفس ، وتهرب من توبيخ الضمير ، بالمشغولية المستمرة . وإن أتاها صوت الضمير من مصدر خارجى، من أب أو صديق أو معلم، تحاول أن تغير مجرى الحديث إلى موضوع آخر، لأن صوت الضمير يتعبها، فتهرب منه .

وقد يجد الضمير أنه لا مجال له ، فيستكين ويصمت .. ويمضى الوقت، ويتعود الصمت ، ولا يتدخل فى أعمال الإرادة ...

وتبقى الإرادة وحدها فى الميدان ، تعمل ما تشاء ، وتتفرغ لرغباتها ، ولا تعطى فرصة للضمير .. فيصبح ضميراً غائباً ، أو ضميراً مستتراً ، أو ضميراً نائماً ، ويتعطل عمله فى الإرشاد ...

وتساعد الضمير على السكوت، وسائل التسلية المتعددة، ووسائل الترفيه وطغيان لذة الخطية، والمشغولية المستمرة، وعدم جدوى التوبيخ، ويأس الضمير من إمكانية العمل، أو الوعد المستمر بتأجيل التوبة. وهكذا يبدو أمام الضمير أنه لا فائدة، وتتصر الإرادة على الضمير وتبقى فى الخطية. لأن الضمير مجرد مرشد، لا يرغب الإرادة على قبول مشورته للضمير مثل إشارات المرور فى الطريق ، قد تضىء باللون الأحمر لكى يقف السائق، ولكنها لا ترغمه على الوقوف .

ما أسهل أن يخالف السائق إشارة المرور الحمراء ، ويستمر فى سيره ، وتكتب له مخالفة ولا يبالي . إن الضمير مجرد مرشد ، أما التنفيذ ففى يد الإرادة .

فهل إذا إنحرفت الإرادة ، وأسكتت الضمير ، يهلك الإنسان ؟

هنا تتدخل إرادة الله، ويرسل نعمته، ليخلص الإنسان من إرادته .

مادام ضمير الإنسان ضعيفاً ، والإرادة المنحرفة مسيطرة ، إذن لابد من قوة خارجية تتدخل لإنقاذه . هنا يدخل روح الله القدوس ، وهنا تظهر ثمار صلوات الملائكة والقديسين، وتعمل النعمة ، لكي توظف الإنسان الغافل ، وتلين قلبه القاسى .
مثال ذلك ما حدث لمريم القبطية ، وهى فى عمق الخطية ، لا تفكر إطلاقاً فى التوبة ، بل تشفق إلى خطايا جديدة ، تسقط فيها كثيرين .. ولكن النعمة اجتذبتها فى مدينة القدس ، وسرعان ما استجابت لعمل النعمة ، وتابت بل صارت قديسة عظيمة ، استحقت أن تبارك القس زوسيمًا .

النعمة قد تتدخل وحدها ، بافتقاد من روح الله القدوس . أو تتدخل بناءً على صلاة تطلب معونة الله .

وقد تكون الصلاة من شخص الخاطئ نفسه ، يصرخ إلى الله قائلاً " توبنى يارب فأتوب " (أر ٣١ : ١٨) . وربما تكون من أحبائه المحيطين به ، المصلين من أجل خلاصه، وقد تكون الصلاة من أرواح الملائكة القديسين الذين انتقلوا .
إذن الأمر يحتاج منا إلى صلوات لتتدخل المعونة الإلهية .

إن الناس لا تنقذها مجرد العظات ، فالعظات قد تحرك الضمير، وربما مع ذلك لا تتحرك الإرادة نحو الخير ...!

نحن محتاجون إلى قلوب تتسكب أمام الله فى الصلاة ، لكي يعمل فى الخطاة ، ويجذبهم إلى طريقه ، فالرسول يقول " الإرادة حاضرة عندى، وأما أن أفعل الحسنى ، فلست أجد ، لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده بل الشر الذى لست أريده إياه أفعل " (رو ٧ : ١٨ ، ١٩) .

هناك عبارة جميلة وردت فى سفر زكريا النبى عن يهوشع الذى كان واقفاً بملابس قدرة والشيطان قائم عن يمينه ليقاومه ، فجاء واحد من طغمة الأرباب ، وقال للشيطان " ينتهرك الرب يا شيطان، ينتهرك الرب. أفليس هذا شعلة منتشلة من النار ؟ (زك ٣ : ٢) .
وأنقذ الرب يهوشع ...

ومع تدخل النعمة ، يبقى الإنسان أيضاً حراً .. يستجيب للنعمة أو لا يستجيب . يفتح للرب الذى يقرع على بابيه (رو ٣ : ٢٠) أو لا يفتح . يقبل عمل الروح ، أو يحزن الروح ، أو يطفى حرارة الروح، أو يقاوم الروح ...!

الفصل السادس

الحسنة

الجسد ونظرة المسيحية إليه

بمناسبة الصوم الذى نتدرب فيه على قهر الجسد ، نود أن نتحدث عن هذا الجسد،
ونظرة المسيحية إليه ، هل هو شر أم خير؟

الجسد ليس خطية

ليس الجسد شراً فى ذاته ، لأسباب عديدة .

١ - لو كان الجسد شراً ، ما كان الله قد خلقه . ونلاحظ أنه بعد أن خلق الله الإنسان

- وله هذا الجسد - "نظر الله إلى كل ما عمله، فإذا هو حسن جداً" (تك: ١: ٣١) .

٢ - لو كان الجسد شراً فى ذاته ، ما كان السيد المسيح قد تجسد، ولبس جسداً مثلنا .

وقيل عنه "والكلمة صار جسداً" (يو: ١: ١٤) .

٣ - لو كان الجسد شراً ، ما كان الكتاب يقول "أستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل

للروح القدس الذى فيكم.." (١كو٦: ١٩) . وما كان يقول أيضاً "أستم تعلمون أن أجسادكم

هى أعضاء المسيح" (١كو٦: ١٥) .

٤ - لو كان الجسد شراً ، ما كان الله يقيم هذا الجسد!! ويكفى أن الإنسان قد احتمله

على الأرض، ولا داعى أن يحتمله أيضاً فى الأبدية !!

٥ - لو كان الجسد شراً ، ما كان الله يمجد هذا الجسد فى القيامة، فيقوم جسداً روحياً

وجسداً سماوياً (١كو١٥: ٤٤ ، ٤٩).. "يقام فى قوة، وفى مجد، ويلبس عدم موت"

(١كو١٥: ٤٣، ٥٣) . بل يكون ممجداً في شبه جسد الرب الممجّد، كما يقول الرسول عن الرب "الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ، ليكون على صورة جسد مجده" (فى٣: ٢١) .

٦ - لو كان الجسد شراً ما كنا نكرم أجسام القديسين وعظامهم، ونعتبرها ذخائر فى الكنيسة وبركة ، وتجري منها عجائب .

٧ - ولو كان الجسد شراً ، ما كان الكتاب يقول "قدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة.." (رو١٢: ١) . بل ما كان يقول "مجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى الله" (١كو٦: ٢٠) .

وعلى الرغم من كل هذا يتحدث الكتاب كثيراً ضد الجسد (رو٨) ، و"أعمال الجسد" (غل٥: ١٩) ، والإهتمام بالجسد، والسلوك حسب الجسد (رو٨: ١ - ٩) ...

فمن أى جسد يتكلم ؟ إنه لا يتكلم عن الجسد فى ذاته، أو الجسد بصفة عامة، إنما عن الجسد الخاطئ .

الجسد الخاطئ

إنه الجسد الذى يقاوم الروح ...

هذا الذى قال عنه الرسول "الجسد يشتهى ضد الروح، والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر ، حتى تفعلون ما لا تريدون" (غل٥: ١٧) .

هذا الجسد الخاطئ ، ذكر الرسول فى نفس الرسالة أمثلة عديدة من أعماله الخاطئة (غل٥: ١٩ - ٢١) .

والجسد الخاطئ هو الجسد الشهواتى .

وشهواته مادية ونجسة . ولذلك يقول الرسول "اسلكوا بالروح، فلا تكملوا شهوة الجسد" (غل٥: ١٦) . وشهوة الجسد قد تكون "الزنى والنجاسة والدعارة" (غل٥: ١٩) . وقد

تكون شهوة البطننة التى هى فى الطعام والشراب والسكر . أو قد تكون فى شهوة أمور حسية تتحول إلى عادة مسيطرة أو إلى إدمان، مثل التدخين والمخدرات ...

والجسد الخاطئ هو الذى يهتم بالمادة ، وقد تستعبده .

وعن هذا الإهتمام قال الرسول "إهتمام الجسد هو عداوة لله" "لأن إهتمام الجسد هو

موت . ولكن إهتمام الروح هو حياة وسلام" (رو٨: ٧، ٦) . وعن هذا الإهتمام قال الرب "لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ، ولا لأجسادكم بما تلبسون" (مت٦: ٢٥) .

كما قال أيضاً "لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض .. بل اكفروا لكم كنوزاً فى السماء"
(مت ٦ : ١٩) .

والجسد الخاطى هو الذى يقود الروح والنفس إلى الخطأ .

فحينما تخطى حواسه، تشترك معها نفسه وروحه ، فيندنس الإنسان كله روحاً وجسداً .
كما قال الرب "من نظر إلى امرأة ليشتتها، فقد زنى بها فى قلبه" (مت ٥ : ٢٨) . فهناك
إشتراك بين الجسد فى نظره، وبين النفس فى شهواتها، والروح التى يمثلها القلب

انظروا إلى سليمان كيف أخطأ حينما استسلم إلى شهوات الجسد .

وقال "بنيت لنفسى بيوتاً ، غرست لنفسى كروماً ، عملت لنفسى جنات وفراديس ..
جمعت لنفسى أيضاً فضة وذهباً .. اتخذت لنفسى مغنين ومغنيات ، وتعمعات بنى البشر
سيدة وسيدات .. ومهما اشتتهته عيناى لم أمسكه عنهما " (جا ٢ : ٤ - ١٠) . وهكذا عاش
حياة جسدية .. وسقط عن طريق النساء (امل ١١) . بل يقول عنه الكتاب إن "تساءه
أملن قلبه وراء آلهة أخرى . ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب" (امل ١١ : ٤) .

وهكذا استطاع جسده أن يهوى بروحه إلى عمق الخطية .

ولم يمجده الله فى روحه ، ولا فى جسده . بل سقط كله !

حقاً ما أعمق العبارة التى قالها القديس بولس الرسول :

"ويحى أنا الإنسان الشقى . من ينقضى من جسد هذا الموت؟! " (رو ٧ : ٢٤) .

أعضاء خاطئة

قد لا يخطئ الجسد كله ، ولكن يخطئ عضو واحد منه ، فيندنس الجسد كله ،
ويندس الروح معه أيضاً .

خذوا اللسان كمثال ، وهو عضو صغير .

ولكن كما يقول القديس يعقوب الرسول "هكذا اللسان أيضاً، هو عضو صغير ويفتخر
متعظماً . هوذا نار قليلة ، أى وقود تحرق . فاللسان نار ، عالم الإثم .. الذى يندس الجسم
كله . ويضرم دائرة الكون ويضرم من جهنم" (يع ٣ : ٥ ، ٦) .

انظروا كم هو عدد الخطايا ، التى يقع فيها الإنسان نتيجة لسقطات اللسان ، كما يقول
الكتاب "بكلامك تتبرر، وبكلامك تدان" (مت ١٢ : ٣٧) .

بل باللسان يتجسس الإنسان ، كما يقول الرب " .. بل ما يخرج من الفم ، هذا ينجس

الإيمان" (مت ١٥: ١١) .

وكما نذكر دنس اللسان ، نذكر دنس العين أيضاً .

فإن كانت محبة العالم هي عداوة لله كما قال القديس يعقوب الرسول (يع ٤: ٤) ..
فهذا القديس يوحنا الرسول يقول "إن أحب أحد العالم، فليست فيه محبة الأب. لأن كل ما
في العالم شهوة الجسد، وشهوة العين، وتعظم المعيشة" (يو ٢: ١٥، ١٦) .
شهوة العين التي وقعت فيها أمانة حواء، لما نظرت إلى الشجرة فإذا هي "بهجة للعيون،
وشهية للنظر" (تك ٣: ٦) .

وما أكثر الخطايا التي تقع فيها العين .

حينما ينظر الإنسان نظرة شهوة ، أو نظرة غضب أو حقد، أو نظرة حسد أو إنتقام،
أو نظرة كبرياء أو استهزاء بالغير، أو ينظر نظرة مأكرة ، أو نظرة قاسية .. وتتعدد
الخطايا، وتظهر صورتها واضحة في العين .

وما أكثر الأعضاء الأخرى التي تخطئ ...

اليد التي تسرع إلى الضرب ، أو إلى القتل ، أو إلى السرقة ، أو إلى خطايا أخرى
عديدة .

والقدم التي تسرع إلى أماكن الخطية .

أو ملامح الوجه ، التي تظهر عليها الكبرياء ، أو الغضب ، أو القسوة ...

لهذا كله ولغيره ، تحدث الكتاب عن إخضاع الجسد .

إخضاع الجسد

لعل من أهم الآيات وأخطرها في إخضاع الجسد ، هو قول القديس بولس الرسول "بل
اقمع جسدي وأستعبده . حتى بعد ما كررت لآخرين ، لا أصير أنا نفسي مرفوضاً"
(١كو ٩: ٢٧) ... إنها عبارة مرعبة يقولها هذا القديس الذي صعد إلى السماء الثالثة
(١كو ١٢: ٢) . والذي تعب أكثر من جميع الرسل (١كو ١٥: ١٠) .. لكي يرينا بهذا
خطورة الجسد، وأهمية إخضاعه، وقمعه واستعباده...

ومن الأقوال البارزة أيضاً في إخضاع الجسد ، هي قول الرسول "ولكن الذين هم
للمسيح ، قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" (غل ٥: ٢٤) . أي أن كل شهوة للجسد
ضد السلوك بالروح، يدقون فيها مسماراً ويصلبونها ، فلا تتحرك فيهم فيما بعد.

ومن الوسائل الهامة لإخضاع الجسد ، فضيلة الصوم .
سواء من جهة إخضاع الجسد بالإمتناع عن الطعام ، ويتحمل الجوع ، أو بالإمتناع عما
تشتهيه من الأطعمة ، كما قال دانيال النبي فى صومه "لم أكل طعاماً شهياً، ولم يدخل فى
لحم ولا خمر" (دا: ١٠: ٣) . وإن لم تستطع الإمتناع الكامل . فلتقل .
وكما تمنع جسدك من الأكل ، تمنعه عن الشهوات الأخرى .
ومن وسائل إخضاع الجسد ، ضبط الحواس ، واللسان .
ضبط النظر ، والشم ، واللمس... وكما قال الرب فى العظة على الجبل "إن كانت
عينك اليمنى تعثر، فاقطعها وقلها عنك.. وإن كان يدك اليمنى تعثر ، فاقطعها وقلها
عنك" (مت: ٥: ٢٩ ، ٣٠) .. على الأكل تقطع شهواتها ...
من وسائل ضبط الجسد أيضاً السهر .
ونقصد به السهر فى الصلاة والعبادة . كما قال الرب "اسهروا وصلوا ، لئلا تدخلوا
فى تجربة" (مت: ٢٦: ٤١) . وكما قال أحد الآباء "اغضب نفسك فى صلاة الليل، وزدها
مزامير" ...

ومن وسائل ضبط الجسد : الزهد والتسك .
على الأقل البعد عن الترفيات والكماليات ، وعن المبالغة فى الزينة العالمية ، فقد
ركز الرسول على "زينة الروح الوديع الهادئ، الذى هو قدام الله كثير الثمن" (١بط: ٣: ٤) .
المهم هو أن تتزين الروح بالفضائل . كما يقول عنها النشيد "معطرة بالمر واللبان وكل
أذرة التاجر" (نش: ٣: ٦) .
وليعرف الإنسان أن الجسد ليس للمتعة والترفيه .
بل هو لتمجيد الله ، كما قال الرسول "مجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى
لله" (١كو: ٦: ٢٠) .

كيف نمجّد الله بأجسادنا

أولاً : باشتراك الجسد مع الروح فى عملها .
الروح مثلاً تصلى ، والجسد يشترك معها فى الوقفة الخاشعة ، وفى رفع اليدين ،
وحفظ الحواس ، وفى الركوع والسجود .. نقول ذلك لأن البعض يخطنون ويظنون أن الله
"إله قلوب" فقط، فلا يهتمون باشتراك الجسد! وقد يصلون وهم جلوس ، وربما وهم

مستلقون على الفراش !!

أو بعض الأجانب الذين لا يخلعون أحذيتهم في دخولهم إلى الهيكل ناسين قول الكتاب "اخلع حذاءك من قدميك، لأن المكان الذي أنت واقف عليه موضع مقدس" (خر ٣: ٥) ، (يش ٥: ١٥) .

٢ - نمجد الله بتعب الجسد في الخدمة .

كما قال الرسول عن خدمته " في أتعب في أسفار في أصوام" (٢كو ٦: ١٥) وأيضاً "في الأتعب أكثر .. بأسفار مراراً كثيرة بأخطار في البرية ، بأخطار في البحر .. في تعب وكد ، في أسفار مراراً كثيرة ، في جوع وعطش ، في أصوام مراراً كثيرة ، في برد وعري .. " (٢كو ١١: ٢٣ - ٢٧) .

أباؤنا كانوا في خدمتهم وفي بذلهم كالشمعة التي تذوب لكي تضيء للآخرين. لذلك نوقد الشموع أمام أيقونات القديسين، لأن حياتهم كانت نوراً، ولأنهم بذلوا أنفسهم في خدمتهم وعبادتهم .

٣ - أباؤنا الشهداء لاشك مجدوا الله بأجسادهم .

ولذلك فالكنيسة ترفع الشهداء فوق درجات القديسين الآخرين ، لأنهم تألموا كثيراً من أجله . وكما يقول الكتاب "إن كنا نتألم معه، فلكي نتمجد معه أيضاً" (رو ٨: ١٧) .

٤ - أما نحن ، فعلى الأقل فلنمجده بتعب الجسد .

كان القديس الأنبا بولا يتعب كثيراً بالجسد في نسكه وفي جهاده الروحي ، حتى ظهر له الرب وقال له "كفاك تعباً يا حبيبي بولا" . فرد القديس "وماذا يكون تعبى إلى جوار ما بذلته لأجلنا يارب" .

٥ - إتنا نمجد الله أيضاً عن طريق طهارة الجسد .

حتى يستريح روح الله في داخلنا، إذ يجد أجسادنا هياكل مقدسة له .. وحتى بطهارة الجسد نقدم للناس الصورة الإلهية، وأيضاً نستطيع التقدم إلى الأسرار المقدسة ، ونتظهر بها أيضاً ...

ومن مظاهر هذه الطهارة العفة ، والحشمة .

أجساد القديسين

هؤلاء القديسون الذين مجدوا الله في أجسادهم ، مجد الله أجسادهم كذلك .

مثال ذلك جسد العذراء الذى أصعده الله إلى السماء .
وكذلك الكرامة التى كانت تمنح لهذه الأجساد، حتى أن عظام أيشع النبى كان لها
البركة التى لمسها ميت فقام (مل٢: ١٣ : ٢١) .
وقد مجد الله أجساد القديسين حتى فى حياتهم .
مثل وجه موسى الذى أضاء بنور بعد مقابلة للرب على الجبل، حتى أن الشعب لم
يستطع النظر إليه ، فوضع على وجهه برقعاً ، ليتمكن النظر إليه (خر٣٤ : ٣٠ - ٣٥) .
ومثل وجه اسطفانوس الشماس الذى أثناء محاكمته "شخص إليه جميع الجالسين فى
المجمع ، ورأوا وجهه كأنه وجه ملاك" (أع٦ : ١٥) .
ومن أمثلة ذلك المناديل والعصائب التى كانوا يأخذونها من على أجساد الرسل ، فتشفى
الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة (أع١٩ : ١٢) .



الفصل السابع

القلب

القلب وَدخوله في كل عمل

أهمية القلب

لعل من أبرز الأمثلة على أهمية القلب، هي قول الكتاب في سفر الأمثال :

"فوق كل تحفظ احفظ قلبك ، لأن منه مخارج الحياة" (أم ٤ : ٢٣) .

ذلك لأنه من القلب يصدر كل شيء، وهو الذي يعبر عن حقيقة الإنسان، وعن خفاياه ونواياه . والله يعرف كل ما في قلب الإنسان . لذلك قيل عنه إنه "وازن القلوب" (أم ٢١ : ٢) وأنه "قاحص القلوب" (مز ٧ : ٩) (روؤ ٢ : ٢٣) .

القلب هو مركز المشاعر ، ومركز العواطف، ومركز الحب . والرب يريد هذه المشاعر والعواطف القلبية، لذلك قال :

"يا ابني ، اعطني قلبك " (أم ٢٣ : ٢٦) .

وإن أعطيتني قلبك ، كنتيجة طبيعية : سوف "تلاحظ عينك طريقي" .

والحياة الروحية ليست مجرد ممارسات في العبادة، أو فضائل ظاهرية، إنما هي حياة قلبية، حياة قلب يرتبط بالله بعلاقة الحب . وكل فضائله وعباداته وممارساته، تكون نابعة من هذا القلب، ومزينة بعلامة الحب .

هي ليست مجرد ممارسات من الخارج يعارسها الإنسان .. ولا مجرد ناموس ، أي وصايا تنفذ حرفياً ...

إنما الحياة الروحية - قبل كل شيء - هي حياة القلب مع الله .

وما أجمل قول المزمور في مثل هذا المعنى :

"كل مجد إهنة الملك من داخل" (مز ٤٤) .

مع أنها "مشملة بأطراف موشاة بالذهب، ومترينة بأنواع كثيرة" إلا أن كل مجدها من الداخل ، في قلبها في روحها ...

وسنرى الآن علاقة القلب بالمشاعر وباللسان والفكر والإرادة ، وبالتوبة والعبادة وكل الحياة مع الله .

القلب مصدر المشاعر

فيه الحنو والطيبة ، أو فيه القسوة والشدة .

فيه الإيمان والثقة ، أو فيه الشك وفقدان السلام .

فيه التواضع والوداعة ، كما قيل عن السيد المسيح إنه وديع ومتواضع القلب (مت ١١ :

٢٩) .

لا تظن أن الإبتضاع هو أن يقول إنسان كلام إبتضاع. مثل أن يقول "أنا خاطئ. أنا لا استحق شيئاً" . فقد يقول هذا، ولا يحتمل مطلقاً أن يقول له أحد : أنت خاطئ أو أنت مخطئ !!

التواضع الحقيقي هو تواضع القلب . والكبرياء هي إرتفاع القلب .

أول خطية في العالم، كانت خطية قلب ، خطية كبرياء .

بها سقط الشيطان، إذ ارتفع قلبه . وعلى ذلك وبخه الرب قائلاً:

"وأنت قلت في قلبك : أصعد إلى السموات، أرفع كرسي فوق كواكب الله... أصير

مثل العلي" (أش ١٤ : ١٣ ، ١٤) .

وعن الكبرياء يقول الكتاب "قبل الكسر الكبرياء، وقبل السقوط تشامخ الروح" (أم ١٦ :

١٨) . هي إذن خطية في داخل الإنسان، في قلبه قبل أن تأخذ مظهراً خارجياً .

القلب أيضاً فيه الخوف ، كما فيه الإطمئنان .

أمر واحد يحدث لاثنتين : أحدهما يخاف ويرتعش ويتخيل له نتائج مرعبة. بينما الآخر

يقابله بكل سلام وإطمئنان ، ويفكر في هدوء كيف يتلقى نتائجه السيئة ... حسب قلب كل

واحد، تكون مشاعره . لذلك يقول الكتاب "تقوّ وليتشدّد قلبك" (مز ٢٧ : ١٤) .

إن القلب يشمل كل شيء فيك ومنك .

كل الفضائل مصدرها القلب . وكل الخطايا مصدرها القلب .

كلمات لسانك راجعة إلى قلبك . لأن الكتاب يقول "من فضلة القلب يتكلم الفم" (مت ١٢:

٣٤) . وكذلك الفكر أيضاً "الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح، يخرج الصالحات.

والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر" (لوقا ٦: ٤٥) .

إن كان في قلبك حب ، يظهر الحب في معاملتك . وإن كانت في قلبك عداوة أو

كراهية ، يظهر كل ذلك في تصرفاتك . بل يبدو في لهجة صوتك وفي نظرات عينيك .

ومصدر ذلك هو القلب.. إلا لو كان هناك رياء، وأظهر الإنسان غير ما يبطن. وذلك

أيضاً ينكشف ...

القلب والفكر

القلب والفكر يعملان معاً . كل منهما سبب ونتيجة .

مشاعر القلب تسبب أفكاراً في العقل . والأفكار تسبب مشاعر في القلب. إن اشتهيت

خطية، تجد هذه الشهوة تجلب لك أفكاراً من نوعها. وإن فكرت في الخطية، يجلب لك

القلب شهواتها .

إن أردت صلاحاً لقلبك ، أصلح إنن أفكارك . وابتعد عن مصادر الفكر الخاطئة .

ابتعد عن الأفكار التي تأتيك من الكتب ، أو من الحواس، أو من المعاشرات الرديئة، أو

من مصادر أخرى.. حينئذ لا تضغط الأفكار على قلبك، وتصل إلى استقامة القلب

وصلاحه .

الوجوديون الذين رفضوا الله بقلوبهم : دخلت أفكار الإلحاد إلى أذهانهم . الإلحاد إنن

قد يكون من الفكر والقلب معاً .

ربما تكون بينك وبين إنسان محبة .. ويأتي ثالث فيغير فكرك من نحوه ، تجد قلبك قد

تغير أيضاً من نحوه . ومع تغير قلبك تتغير ملامحك ومعاملاتك ...!

تقول " أريد أن أعطي قلبي لله " .

أقول لك : أعطه فكرك أيضاً ...

حسبما يكون قلبك، يكون فكرك . وحسبما يكون فكرك، يكون قلبك. لذلك حسناً قال

الكتاب "تحب الرب إلهك من كل قلبك.. ومن كل فكرك" (مت ٢٢: ٣٧).

وتجديد الذهن يجلب تجديد القلب .

وهكذا يقول الرسول "تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم" (رو ١٢ : ٢) . فإن دخلت إلى ذلك أفكار جديدة، اقتنعت بها وأمنت بها، ستجد نفسك قد تغيرت تبعاً لها، شكلاً وقلباً .
وتجد ضميرك قد أخذ نوعية جديدة يقود بها قلبك ...
وهذا هو عمل العظام في تجديد الفكر والقلب .
وبتغيير الفكر والقلب، يتغير أسلوب اللسان أيضاً .
وكل هذا لا بد أن يؤثر على الإرادة .

القلب والإرادة

إذا ملأت محبة الله قلب إنسان، فإنه لا يستطيع أن يخطئ، لأن محبته لله هي التي تسيطر على تصرفاته . وهكذا تتجه إرادته نحو الله بالكلية ...
أما إذا كان القلب غير كامل في محبته لله ، فإن إرادته تكون متزعزعة .
تتصرف حسب التأثيرات الخارجية عليها إن خيراً ، وإن شراً . ولذلك حسناً قال الكتاب "تحب الرب إلهك من كل قلبك" وعبارة "كل" هنا لها أهميتها ...
فإن كان كل القلب لله ، تكون كل الإرادة لله .
أيضاً إن كان القلب يتميز بالجدية والتدقيق ، والالتزام بالقيم والمبادئ، فإنه على حسب تمسكه بكل هذا، تكون إرادة الإنسان قوية .
والقلب المتقلب ، تكون إرادته متقلبة .
هناك ارتباط إذن بين القلب والفكر ، وبين القلب واللسان ، وبين القلب والإرادة ، وبين القلب والفضيلة ...

القلب واللسان

كل ما تتكلم به ، يصدر عن قلبك ، لذلك يقول الكتاب :
"من فضلة القلب يتكلم الفم" (مت ١٢ : ٣٤) .
ويشرح الرب ذلك فيقول "الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح .
والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر" (لو ٦ : ٤٥) .
إلا لو كان الكلام رياء ، وليس من القلب .

أى أن يتكلم الإنسان بغير ما فى قلبه ، أو يعكس ما فى قلبه . وفى هذه الحالة إن قلت كلمة طيبة بفمك ، وقلبك بعكس هذا، فإن الله يحاسبك على ما فى قلبك ، وليس على ما قلته بلسانك. بل تضاف إلى خطية القلب خطية الرياء ...

الله الذى يحاسبك فى اليوم الأخير ، هو فاحص القلوب (أر ١١ : ٢٠) .

الكتبة والفريسيون المراؤون ، كانوا يتكلمون بالصالحات وهم أشرار .

ولم ينفعهم كلامهم بشئ ، بل أذانبهم الله ، وصبّ عليهم الويلات (مت ٢٣). وقال عنهم "إنهم ينقون خارج الكأس والصحفة، وهما من داخل مملوآن اختطافاً ودعارة" وأنهم يشبهون قبوراً مبيضة: تظهر من الخارج جميلة، وهى من الداخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة" (مت ٢٣ : ٢٥ ، ٢٧) .

المهم إذن فى الداخل ، فى القلب ، لذلك يقول المزمور :

"كل مجد إبنة الملك من داخل" (مز ٤٥ : ١٣) .

على الرغم من أنها "مشملة بأطراف موشاة بالذهب ، ومزينة بأنواع كثيرة" فالكلام اللين وحده لا يأتى بنتيجة ، إن لم يكن صادراً عن مشاعر حقيقية فى القلب. وإلا فإنه ينطبق عليه قول المزمور "كلماته ألين من الزيت، وهى سيوف مسلولة" (مز ٥٥ : ٢١) . إنسان تعتذر إليه فلا يقبل اعتذارك .

لأنه يحس تماماً أن كلماتك ليست صادرة من قلبك، وأنها مجرد كلام ... تقول "أخطأت" ، ونبرات صوتك ذاتها لا تعبر عن أسفك وندمك، لأنها غير مختلطة بمشاعر قلبك . فتبدو رخيصة غير مقبولة ...

الإنسان اللماح الحساس يستطيع أن يكتشف حقيقة الكلام، وهل هو صادر من القلب ...

سواء أكان كلام مديح ، أو كلام اعتذار، أو كلام نصح ... فالصوت يكشفه ، وملامح الوجه تكشفه ، وما هو داخل القلب يمكن إدراكه وكشفه ، ولا يمكن للألفاظ أن تخفيه ... ما أعمق أهمية القلب فى العلاقة مع الله ومع الناس .

الحياة مع الله

تبدأ حياتك مع الله من قلبك ...

تبدأ بالإيمان ، والإيمان من عمل القلب ...

وبالإيمان نتق بوجود الله عموماً ، وبوجوده فى حياتك بصفة خاصة. وفى حياتك معه تتكلم عليه، كما يقول الحكيم "توكل على الرب من كل قلبك، وعلى فهمك لا تعتمد" (أم ٣: ٥) . وفى إتكالك عليه، تسلمه حياتك، وتتق بقيادته لها .. وكل هذه مشاعر قلب .. وفى حياتك معه تقول له كل حين :

"مستعد قلبى يا الله ، مستعد قلبى" (مز ٥٧ : ٧) .

ونحن نرتل هذه العبارة فى ثانى مزمور من مزامير صلاة الساعة السادسة .. نحن مستعدون لعمل الله فىنا، مستعدون للشركة مع الروح القدس الحال فى قلوبنا، مستعدون لطاعة وصاياه .. وعن هذه الوصايا يقول الرب "ليحفظ قلبك وصاياى" (أم ٣: ١) .
ويقول المرتل فى المزمور :

"خبأت كلامك فى قلبى، لكيلا أخطئ إليك" (مز ١١٩) .

إذن وصايا الله لابد أن تكون فى القلب ، فى عمل المشاعر فى مركز العاطفة ، وهكذا لا نخطئ إليه ...

لذلك قال الله للشعب ، حينما سلمه الوصايا "ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك، وقصها على أولادك، وتكلم بها حين تجلس فى بيتك.." (تث ٦: ٦) ... وهكذا إذا كانت كلمات الرب فى قلب الإنسان يستطيع أن يلهج بها نهاراً وليلاً، كما أمر الرب عبده يشوع (يش ١: ٨) . وكما قيل فى المزمور الأول عن الرجل البار :

"لكن فى ناموس الرب مسرته، وفى ناموسه يلهج نهاراً وليلاً".

مادامت كلمات الرب أصبحت مسرته، فمعناها أنها صارت موضع محبته، ودخلت إلى قلبه. وعن هذه المحبة يتحدث داود النبى كثيراً، وترددت فى صلواته عبارة "أحببت وصاياك" "وجدت كلامك كالشهد فأكلته" "فرحت بوصاياك كمن وجد غنائم كثيرة" .. وهكذا يتغنى بوصاياه ...

إن وصية الله تصبح صعبة علينا، إن تركناها خارج قلوبنا .

إن لم نمزجها بعواطفنا ، ونشعر بجمالها ونحبها ...

قلبك هو السبب

تقول "فلان قد أضاعنى" . أقول لك "لم يضيعك سوى قلبك" .

لو كنت قوياً غير قابل للضياع ، ما استطاع أن يضيعك .. ثم إن فلان هذا لا يستطيع

أن يحاربك إلا من الخارج. فإن كان الداخل سليماً، فلن يضرك في شيء ...
إن البيت المبني على الصخر، لم تستطع الأمطار والأهجار والرياح أن تسقطه ، لأنه
كان مؤسساً على الصخر (مت ٧: ٣٥) . والفلك أحاطت به المياه غزيرة جداً، ولم تستطع
أن تفرقه، لأنه لم يكن فيه ثقب تدخل منه المياه، كما كان الله في داخله ...
صدق القديس يوحنا ذهبي الفم ، حينما قال :

"لا يستطيع أحد أن يؤذي إنساناً ، ما لم يؤذي هذا الإنسان نفسه" .

تقول : الكلام الذي سمعته غير أفكارى وشككنى!

أقول لك هو قلبك القابل للتشكك . لو كنت ثابتاً في قلبك، ما كان الشك يدخل إليه،
مهما سمعت من كلام ...

لصان أحاطا بالمصلوب . أحدهما جدف عليه، والآخر آمن به رباً وملكاً ، واعترف
بذلك ودخل الفردوس (لو ٢٣: ٣٩ - ٤٣) ... بينما المصلوب هو نفس المصلوب،
والظروف الخارجية واحدة بالنسبة إلى اللصين. ولكن قلب أحدهما كان غير قلب الآخر...
هل كان الشك في كلام توما أم في قلبه ؟

قطعاً كان الشك في قلبه . ولم يكن في لسانه ، ولا في إصبعه الذي أراد أن يضعه
مكان الجروح!

أتقول : الضيقات زعزعتى؟! أقول لك: لو كان قلبك قوياً ما كان يتزعزع ...

لقد قلت لكم من قبل : إن الضيقة سميت ضيقة، لأن القلب ضاق بها ولم يتسع لها .
أما القلب الواسع فإنه لا يتضيق بشيء. كما قال القديس بولس لأهل كورنثوس "قمنا مفتوح
لكم أيها الكورنثيون، قلبنا متسع، لستم متضيقين فينا، لكنكم متضيقون في أنفسكم.. لذلك
أقول كما لأولادى : كونوا أنتم أيضاً متسعين" (٢كو ٦: ١١ - ١٣).

القلب الواسع يتناول المشكلة ويحلها ، ويأخذ بركتها ويحيلها إلى الله ليحلها ...

صفات القلب الروحية

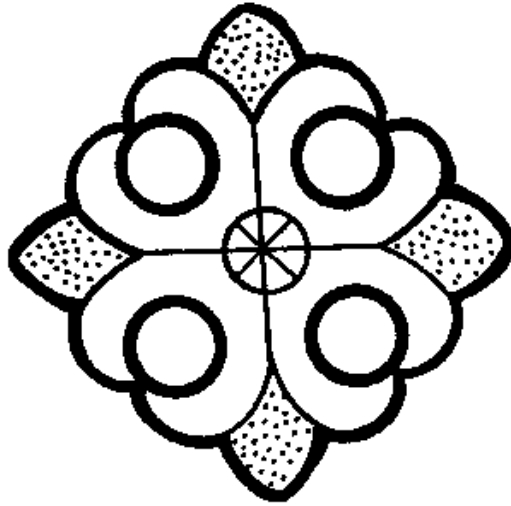
أولاً هو القلب النقي . ولذلك يقول الرب في تطويباته "طوبى لأتقياء القلب، لأنهم
يعاينون الله" (مت ٥: ٨) . يذكر الرسول القلب الطاهر، فيقول "وأما غاية الوصية، فهي
المحبة من قلب طاهر وضمير صالح" (١تى ١: ٥) . كما يذكر أيضاً القلب الصادق
(عب ١٠: ٢٦) ، وبساطة القلب (كو ٣: ٢٢) . ويتحدث المزمور عن القلب الثابت المتكل

على الله (مز ١١٢ : ٧) .

ويذكر أيضاً القلب المتخشع (المنكسر) والمتواضع، الذي لا يرزله الله (مز ٥٠) .
والذي هو أفضل من الذبائح . وقيل عن السيد المسيح إنه "وديع ومتواضع القلب"
(مت ١١ : ٢٩) .

وحذر الكتاب من قساوة القلب (مت ١٩ : ٨) (حز ٣ : ٧) . وكذلك من القلب الملتوى
(أم ١٧ : ٢٠) .

وإن كنا نهتم بنقاوة القلب ، فلا بد أن نذكر علاقة القلب بالتوبة .
يعوزنى الوقت إذن أن احدثك عن علاقة القلب بالتوبة، وأيضاً بالعمل الإيجابي في
الحياة الروحية، وعلاقته بالصلاة والعبادة ..



القلب وعمله الروحي

القلب والتوبة

التوبة الحقيقية هي التوبة الصادرة من القلب .

وليست الصادرة من مجرد الإرادة .. لأن الإرادة قد تقوى حيناً، وتضعف في حين آخر. وقد تقوى الإرادة فتمتنع عن عمل الخطية. ولكن مع عدم ارتكابها، تبقى محبتها في القلب، ولا تكون توبة حقيقية. فالتوبة الكاملة هي كراهية الخطية. وهذا يكون عمل القلب. يقول الرب "أرجعوا إليّ، أرجع إليكم" (ملا ٣: ٧) ويقول :
"أرجعوا إليّ بكل قلوبكم" (يو ٢٤: ١٢) .

هذا هو الرجوع الحقيقي ، لأنه مادامت توجد في القلب خطية محبوبة، لا يكون قد تاب توبة صادقة حقيقية .. وهكذا في التوبة يتحدث الكتاب عن القلب الجديد، الذي تجدد بالتوبة، ويقول الرب في ذلك:

"وأعطيكم قلباً جديداً، وأجعل روحي في داخلكم" (حز ٣٦: ٢٦).

وعبارة "أعطيكم قلباً جديداً" تعني قلباً جديداً في مشاعره وفي رغباته، وفي اتجاهه نحو الله بشهوات جديدة، ونيات جديدة، ومفاهيم جديدة.. هذه هي التوبة الحقيقية، التي يقول عنها المزمور في المزمور:

"من كل قلبي طلبتك" (مز ١١٩) .

والتي يقول عنها الرب في سفر يوثيل "مزقوا قلوبكم لا ثيابكم، وارجعوا إلى الرب إليكم" (يو ٢٤: ١٣) .

ويقول توبوا عن كل معاصيكم، وأعملوا لأنفسكم قلباً جديداً (حز ١٨ : ٣١) . ويقول أيضاً "وأعطيهم قلباً ليعرفوني" (أر ٢٤ : ٧) . وفي مزمور التوبة، يقول داود وهو شاعر بأهمية القلب في التوبة : قلباً نقياً اخلق في يا الله" (مز ٥٠) .

إن التوبة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنقاوة القلب . والتوبة معناها رجوع القلب إلى الله.. وإذا رجع القلب إلى الله، تصبح الإرادة قوية، قادرة على التخلص من الخطية. أما مشكلة البقاء في الخطية، على الرغم من محاولة تركها، فسببها إن الإرادة وحدها تحاول أن تصل إلى التوبة ، بينما القلب لا يريد .

التوبة التي من القلب، هي التي تستمر .

أما التوبة التي هي مجرد وعود من اللسان ، فلا تبقى طويلاً ، مادام القلب في الداخل لم تدخله محبة الله، ولم يكره الخطية بعد ... لذلك فإن البعد عن التوبة، يعتبره الكتاب مساواة قلب. وفي ذلك يقول القديس بولس الرسول :

"إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم" (عب ٣ : ٧ ، ٨) .

وتتكرر هذه العبارة ثلاث مرات في نفس المناسبة ، كما في (عب ٣ : ١٥) (عب ٤ : ٧) .. ذلك لأن القلب القاسي، الخالي من مشاعر الحب نحو الله، لا تكون فيه أية استعدادات لقبول عمل الله فيه، ولا أية إستجابة لشركة الروح . إنه قلب قاس لا يلين، كما كان قلب فرعون الذي لم تؤثر فيه كل المعجزات والعجائب والضربات..

فالذي لا يستمع إلى صوت الرب ، هو إنسان قاسي القلب .

التوبة ليست كلمات نقولها بألسنتنا . إنما هي تغيير في قلوبنا . لهذا يقول الرب في

سفر حزقيال النبي :

التوبة الحقيقية هي تغيير في القلب ، وتغيير في شهوات الإنسان الداخلية .

بحيث يشتهي الخير ، بدلاً من إشتهاء الخطية .. وليست التوبة الحقيقية مجرد امتناع

خارجي عن الخطية، بينما القلب يشتهيها في الداخل !! لذلك يقول الرب عن التوبة :

"أرجعوا إلى بكل قلوبكم" (يو ٢٤ : ١٢) .

في حياة التوبة ، ضع أمامك هذه الحقيقة .

إن انتصرت في الداخل ، في القلب ، انتصرت في الخارج أيضاً .

أنتول في الخارج عثرات مغريات جروب ، ليكن . وليكن قلبك منتصراً في الداخل ،

لا يمكن أن تؤثر عليه كل هذه . يوسف الصديق المنتصر في داخله ، لم تقو عليه العثرات

والمغريات والحروب .

أتقول "قلان (نرفزنى) أغضبنى؟! كان الأولى أن تقول إن فلاناً أظهر لى الخطأ الموجود فى قلبى . لأنه لو كان قلبى قوياً ، ما كنت أقع فى النرفزة ...

إن الخطية تتكرر لأن القلب متمسك بها .

والكلام الروحى عن التوبة لا يأتى بنتيجة ، لأن القلب لا يريد، أو لأن القلب يرفضه بسبب تعلقه بمحبة خاطئة ...

العثرات الخارجية تؤثر وتعود إلى الخطية ، إن كان القلب يستجيب لها . أما إن كان يرفضها ، فهذه العثرات لا تعثره هو ... قد تعثر غيره ، إن وجدت فى قلب ذلك الغير قبولاً لها ... إذن إصلاح الناس يأتى من الداخل ...

إن الإلتصاف على الخطية يأتى من الداخل .

فتاة تقول لها : لبسك ، زينتك ، شكاك ، مكياجك .. أو شاب تقول له : شعرك الطويل ، بنطلونك الجينز ، منظررك .. وتحاول أن تضغط من الخارج ، أو تؤنب وتوبخ .. تاركاً القلب كما هو !! اعرف تماماً أن هذا الأسلوب لا يجدى . المهم هو القلب من الداخل ... الإقتناع القلبى والفكرى . هوذا القديس بولس الرسول يقول :

"تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم" (رو ١٢ : ٢) .

إذن التغيير الخارجى ، المفروض أن يأتى بالتجديد الداخلى ، بذهن يفكر بطريقة جديدة ، روحانية ، يفعل بها القلب ومشاعره ... إننا نريد فى الوعظ أن نتفاهم مع قلوب الناس ، وليس مع أذانهم فقط .. إنما يتغير الذهن ، ويتغير معه القلب أيضاً ...

العجيب أن غالبية الناس فى اعترافاتهم يعترفون بالخطأ الظاهرى فقط ، وليس

بحالة القلب !

إنسان يغضب ويثور ويحتد ويشتم ويدين . ثم يعترف بهذه الخطايا فقط ، ويندر أن يعترف بما فى داخل القلب من عدم محبة ، وعدم إحتمال . وبأن القلب خالٍ من الوداعة والتواضع واللفظ .. وينقصه احترام الآخرين ، ومراعاة مشاعرهم ...

هل ننسى خطايا القلب ، ونركز على خطايا اللسان ؟!

بينما خطايا اللسان سببها أخطاء القلب الداخلية ، لأنه من فيض القلب يتكلم الفم (لوقا :

٤٥) ... والعجيب أن إنساناً يخطئ هكذا فيقول البعض عنه "حقاً إن كلامه خطأ ، ولكن

قلبه أبيض" !! كلا يا أخوتى فالقلب الأبيض ، ألقاظه بيضاء ، والعكس صحيح ...

إننا في أحيان أخرى نركز على خطايا الحواس، أو خطايا العمل، وننسى خطية

القلب !!

نقول باستمرار إن خطية أمانة حواء، إنها خالفت الرب، وقطفت من الشجرة، وأكلت، وأعطت رجلها فأكل معها ... وننسى خطية القلب التي أدت إلى كل هذا ... القلب الذي دخلته الشهوة، بعدما استمع إلى كلام الحية .. ولما تغير القلب ، تغيرت نظرة الحواس . ونظرت المرأة بقلب فقد بساطته ونقاوته، فإذا الشجرة "جيدة للأكل، وبهجة للعيون، وشهية للنظر" (تك: ٣: ٦) .. بينما الشجرة كانت أمامهم كل يوم، ولم ينظروا إليها هكذا من قبل !!

ولكن النظرة تغيرت ، لما تغير القلب ...

لما دخلت الشهوة إلى القلب ، بدأت الحواس تشتت .

فخطية الحواس خطية ثانية ، أما الأولى فهي خطية القلب .

استمعوا إلى الرب يقول في عظته على الجبل عن الزنى :

"من نظر إلى امرأة واشتهاها ، فقد زنى بها في قلبه" (مت: ٥: ٢٨) .

الزنى إذن قد كان في القلب، قبل أن يصل إلى الحواس . شهوة القلب الرديئة هي التي

نجست النظر .. هل نعتبر هذه إذن خطية نظر، أم خطية قلب؟ إنها خطية قلب أدت إلى

خطية نظر.. ولو كان القلب نقياً، ما كانت هناك شهوة تالية للنظر ...

أول خطية دخلت العالم ، كانت خطية قلب .

إنها خطية الشيطان الذي ارتفع قلبه . قال في قلبه "أصعد إلى السموات، أرفع كرسي

فوق كواكب الله.. أصير مثل العلي" (أش: ١٤: ١٣، ١٤) .. تذكر بهذا أيضاً خطية

نيوخنصر إذ "ارتفع قلبه" (دا: ٥: ٢٠) .

العمل الإيجابي للقلب

تكلما عن الخطأ في مشاعر القلب ويعوزنا أن نتكلم عن عمله الإيجابي في الفضيلة..

وكمثال : القلب وما فيه من حماس وغيره مقدسة .

هذا هو مصدر كل خدمة ناجحة. الناس قد يتكلمون عن مظاهر هذه الخدمة ونتائجها .

ولكن المهم هو حالة القلب الداخلية . هي السبب. وهذا هو الفرق بين الخدمة النارية

المنتهية، والخدمة الروتينية.. إنها مشاعر القلب من الداخل ، ومدى إقتناعه بأهمية خلاص

الذات، والتزامه بالعمل على نشر الملكوت ...

كذلك باقى ثمار الروح فى القلب (غل ٥: ٢٢، ٢٣) .

وأولها المحبة كما يذكر الرسول، وأهمية محبة القلب لله وللناس، هذه المحبة التى يتعلق بها ناموس كله والأنبياء، كما قال السيد المسيح له المجد (مت ٢٢: ٤٠) . والمحبة هى عمل من أعمال القلب ، وهى مصدر كل خير . يقول الكتاب :
"تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل أفكارك" (مت ٢٢: ٣٧)
(تث ٦: ٥) .

إذا وصلت إلى هذا الحب ، تكون قد وصلت إلى القمة، ولم تعد تحت ناموس ، ويزول من القلب كل خوف "لأن المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج" (ايو ٤: ١٨) .

أترانا نتكلم عن التنفيذ الظاهرى للوصايا ، وننسى محبة الرب!؟

كلا، فالمحبة هى الأساس. وكل طاعة للوصايا - بدون محبة - ليست شيئاً أمام الله. وهكذا يعلمنا الرسول (١كو ١٣) .. هذه هى المحبة التى يرتفع بها الإنسان عن مستوى العالم والمادة والجسد، ويتعلق بالله وحده ، كما قال الشيخ الروحانى "محبة الله غربتتى عن البشر والبشريات" ...

وهذه هى أعماق الحياة الرهبانية .

ليست مجرد الرسامة، أو الملابس السوداء ، أو الشكل .. إنما هى قبل كل شئ موت القلب عن العالم ، أو موت العالم داخل القلب.. وبهذا الشعور وصل القديسون إلى الإستشهاد .

الإستشهاد كان داخل القلب ، قبل تعذيب الجسد أو قتله من الخارج ...

القلب والعبادة

ولأن الله ينظر إلى القلب ويهمه القلب ، لذلك قال :

"يا ابنى أعطنى قلبك" (أم ٢٣: ٢٦) .

وإن أعطيتنى قلبك ، سوف تلاحظ عينك طريقي ..

لأن هناك من لهم العبادة الشكلية ، يظهرون من الخارج أنهم يلاحظون طرق الرب، بينما لم يعطوه قلوبهم . مثال ذلك الكتبة . والفريسيون الذين يبدون مدققين فى تنفيذ

الوصية ، بينما قلوبهم بعيدة عن الله !! وعن هؤلاء وأمثالهم قال الرب :

"هذا الشعب يكرمنى بشفتيه . أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً" (مر ٧: ٦) .

لهذا لم يقبل الله مثل هذه العبادة . وقال عن الذين يحفظون الشعائر الخارجية بينما قلوبهم ملوثة من الداخل : "لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة ... رؤوس شهوركم وأعيادكم أبغضتها نفسي، صارت على ثقلاً ، مللت حملها . فحين تبسطون أيديكم، أستر وجهي عنكم وإن أكثرتم الصلاة لا أسمع ، أيديكم ملأنة دماً" (اش ١: ١٣ - ١٥) .
أحياناً تضع لنفسك جدولاً روحياً تحاسب به نفسك على ممارساتك الروحية من صلاة وصوم وقراءات ومطانيات وتأمل .. إلخ.

فهل تحاسب نفسك على الممارسات أم على القلب ؟!

من الجائز أن تضع علامة على قراءة الكتاب، وقلبك لم يشترك في تلك القراءة ، أو الصلاة وقلبك لم يشترك فيها، أو الصوم ولم يكن من قلبك ، ولم يصم أثناءه قلبك عن الشهوات .. أترأه كان جدولاً لحياتك الروحية بالحقيقة ، بينما لم يدخل فيه حساب لقلبك ؟! الصلاة المقبولة هي الصلاة التي من القلب .

وليس هي مجرد ألفاظ نرددتها أمام الله .. لذلك فإننا نقول في التسبحة "قلبي ولساني

يسبحان القدوس" وليس مجرد اللسان وحده .

كذلك الذهاب إلى الكنيسة أيضاً : هل أنت تأتي إلى الكنيسة بقدميك، أم بقلبك؟

استمع إلى المرثل وهو يقول: فرحت بالقاتلين لي: إلى بيت الرب نذهب (مز ١٢٢: ١) .

والفرح هو بلاشك من مشاعر القلب ...

كذلك قراءة الكتاب : حينما تكون بالقلب ، تقول مع المرثل "فرحت بكلامك، كمن وجد

غنائم كثيرة" (مز ١١٩) . وهنا لا تجعل كلمات الله في ذهنك فقط، بل تدخل إلى داخل

قلبك، كما قال داود في المزمور :

"خبأت كلامك في قلبي ، لكيلا لأخطئ إليك" (مز ١١٩) .

وهذا الذي أوصانا به الرب حينما أعطانا الوصايا إذ قال: "ولتكن هذه الكلمات التي

أوصيك بها اليوم على قلبك، وقصها على أولادك، وتكلم بها حين تجلس في بيتك" (تث ٦: ٦:

٦، ٧) . في الأول تكون على قلبك ، وليس في مجرد أذنك ، أو حتى في مجرد ذهنك ..

القلب والصلاة

الصلاة ليست مجرد كلام نتلوه أمام الله ، وليست مجرد حديث مع الله، إنما هي

مشاعر قلب ينسكب أمام الله، حتى من غير كلام، لذلك يقول المرثل :

"باسمك أرفع يدي، فتشبع نفسي كما من شحم ودم" (مز ١١٩).

مجرد رفع اليدين، حتى من غير كلام . فكلم بالأولى كلامه !
في صلاة كل من الفريسي والعشار : الفريسي تكلم كلاماً كثيراً، ولم يكن قلبه مع الله، فلم يقبل الله صلاته . أما العشار فقال عبارة واحدة، بقلب منسحق "فرجع إلى بيته مبرراً دون ذلك" (لو ١٨ : ١٤). وبالمثل العبارة الواحدة التي قالها اللص اليمين من أعماقه فورث بها الفردوس (لو ٢٣ : ٤٢، ٤٣) .

ليس المهم في صلاتك كلماتها ، بل مشاعرها ...

هل هي صلاة بعاطفة ، بحرارة ، بفهم ، بإيمان ..؟ هل هي صلاة بانسحاق قلب، باتضاع؟ هل هي صلاة فيها مشاعر الحب والشوق إلى الله ؟ هل فيها العمق والتأمل؟ أم هي مجرد ألفاظ وكلماتك تعدها أمام الله ، صادرة من شفقتك وليس من قلبك؟!
الصلاة إذن هي رفع القلب إلى الله .

وليست مجرد رفع اليدين، أو رفع العينين إلى فوق .. إنها رفع القلب عن كل الماديات والأرضيات لكي يتجه إلى الله بكل عواطفه .. اسمع قول الرب وهو يوبخ اليهود :
هذا الشعب يكرمني بشفتيه ، أما قلبه فمبتعد عني بعيداً (مت ١٥ : ٨) (مر ٧ : ٦)
(أش ٢٩ : ١٣) .

على ضوء هذه العبارة افحص صلاتك .. وحاول أن تشعر بعمق الصلة بينك وبين
الله ..

حتى صلوات الآخرين ، تستطيع أن تميزها ...

هل هي ابتهاج من العمق ، وحديث روحي مع الله، أم هي مجرد تلاوة ، أو ضبط
نغمات في لحن..؟! وتراك تتأثر من الشخص الذي يصلي من قلبه، وكأنه يقول مع المرثل
في المزمور:

"من كل قلبي طلبتك" (مز ١١٩ : ١٠) .

وهذا هو ما يريده الرب نفسه "تطلبونني فتجدونني، إذ تطلبونني بكل قلبكم" (أر ٢٩ : ١٣) . إذن صلاة الشفتين فقط، ليست صلاة بالحقيقة . ولهذا نقول في صلوات التسبحة
"قلبي ولساني، يسبحان القدوس" .. قلبي أولاً ، ثم يشترك معه لساني .

الفصل التاسع

الفكر

الفكر

مقدمة

الفكر هو عمل عقلى ، يمكن أن يكون خيراً أو شراً، حسب حالة الإنسان .
فالتأمل - مثلاً - هو لون من التفكير الخير ...

كذلك الأفكار الخاصة بمحبة الله ، مثلما قال الكتاب "تحب الرب إلهك من كل قلبك ..
ومن كل فكر" (مت ٢٢: ٣٧) .

ومن الأفكار الصالحة أيضاً ، ما قاله القديس بولس الرسول "وَأما نحن فلنا فكر
المسيح" (١كو ٢: ١٦) .

أما عن الخطأ فى الفكر ، فذلك مثل ما قال عنه الكتاب :
"فكر الحماقة خطية" (أم ٢٤: ٩) .

وأيضاً "مكرهة الرب أفكار شريرة" (أم ١٥: ٢٦) .
ونريد فى هذا المقال، أن نبحث معاً موضوع الأفكار .

الفكر والقلب

الفكر يتعلق بالقلب ، يأخذ منه ويعطى .

خطية الفكر قد تكون فى نفس الوقت خطية قلب، إن كانت نابعة منه، حسب قول السيد
الرب "الإنسان الصالح، من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح. والإنسان الشرير، من كنز
قلبه الشرير يخرج الشر" (لو ٦: ٤٥). وهكذا قيل فى قصة الطوفان: "ورأى الرب أن شر
الإنسان قد كثر فى الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم" (تك ٦: ٥).
عبارة "أفكار قلبه" هنا، تعنى الأفكار النابعة من قلبه .

فلا يمكن منطقياً أن قلباً طاهراً تخرج منه أفكار شريرة . لأنه "من ثمارهم تعرفونهم..
كل شجرة جيدة تصنع ثماراً جيدة. وأما الشجرة الرديئة فتصنع ثماراً رديئة" (مت ٧: ١٦)،

(١٧). وهكذا قال الكتاب "تحب الرب إلهك من كل قلبك" قبل أن يقول "ومن كل فكرك" (مت ٢٢: ٣٧) . فالقلب أولاً . ولهذا قال الكتاب :

"فوق كل تحفظ احفظ قلبك ، لأنه منه مخارج الحياة" (أم ٤: ٢٣) .

المطلوب منك إذن ، أن تحفظ قلبك ، وتحفظ فكرك ، وتحفظ الخط الواصل بين القلب والفكر . فما معنى هذا الخط الواصل ؟

من الجائز أن تأتيك الأفكار من الخارج ، من مصادر أخرى سنشرحها ، فإذا ما قبلت الفكر في أعماقك ، يصل حينئذ إلى قلبك .

وحينئذ يتحول الفكر إلى مشاعر في القلب وإلى إنفعالات .

فكر الزنا يتحول إلى شهوة زنا . وفكر الغضب يتحول إلى إنفعال غضب . وفكر الحقد يتحول إلى مشاعر حقد .. فالفكر الخاطئ يوصل الخطأ إذن إلى القلب . كما أن مشاعر القلب تتحول إلى أفكار .. والإثنان يتبادلان المواقع . ويصير كل منهما سبباً أو نتيجة ...

تخرج الأفكار الخاطئة من العقل إلى القلب، إذا ما تساهلت مع الفكر . وتخرج الأفكار الخاطئة من القلب إلى العقل ، إذا كان القلب غير نقي . هناك مصدر آخر للفكر هو الحواس .

الحواس

الحواس هي أبواب للفكر ، يدخل منها إلى العقل . فما تراه بعينيك ، تفكر فيه ، وما تسمعه بأذنيك ، تفكر فيه . كذلك ما تلمسه وما تشمه ، وربما ما تذوقه أيضاً .. تفكر فيه... إن أردت أن تضبط أفكارك ، اضبط حواسك أيضاً .

لا تتركها سائبة . إنما احترس . لأنه كما يحدث تبادل المواقع بين القلب والفكر ، كذلك يحدث ما بين الفكر والحواس . فربما أفكارك الخاطئة تدعوك إلى النظر والسمع واللمس . وبنفس القياس حواسك الخاطئة تجلب لك الأفكار . مصدر آخر من مصادر الفكر ، هو البيئة والصدقة .

البيئة والصدقة

إن الذين تعاشرهم من الناس ، يجلبون لك أفكاراً جيدة أو رديئة.. سواء كانوا أصدقاء

أو معارف أو جيران ، أو زملاء في العمل، أو أقربائك في بيتك. وعلى رأى ذلك الأديب الذى قال :

قل لى من هم أصدقاؤك ، أقول لك من أنت ؟

ما أكثر الأفكار التى تأتى من (الزن فى الأذان) . كلمة تقال لك اليوم بمحاولة إقناع، فلا تصدقها، فإن سمعتها باكر باقناع، قد تشك، وإن ضغطت عليك الإقناعات، بعد باكر، قد تقبلها. وإن استمر الضغط، قد تؤمن بها وتشرها ، وتتفعل بها. وهذا جزء مما يسمونه "غسيل المخ" .

وغسيل المخ يأتى من وضع العقل تحت تأثير فكرى متتابع وضاعط، لمدة طويلة ، مع إبعاده عن أى مجال فكرى مضاد للرد أو للحوار، إلى أن يتغير فكر الإنسان تماماً ...
يأتى الفكر أيضاً من البيئة : من الرأى العام، والصحافة، والإعلام، والمطبوعات ...
بواسطة القراءات صار البعض شيوعيين فى أفكارهم . قراءات أخرى تجلب أفكاراً شهوانية . قراءات ثالثة تجلب أفكاراً فلسفية . وقراءات من نوع آخر تجلب أفكاراً روحانية أو نسكية ، أو تحمسك للخدمة .. أو تحمسك للعقيدة ...

ومثل القراءات أيضاً : الراديو والتلفزيون والفيديو والكاسيتات.. هل أنت وحدك فى العالم؟! إن كل ما حولك يؤثر عليك .

هذه كلها تأتى للعقل بأفكار من الخارج ، وليس من القلب .. أما دور القلب هنا، فهو قبوله لإستخدام هذه الوسائط .

مصدر آخر من الفكر ، هو توالد الأفكار ...

توالد الأفكار

الفكر يلد فكراً ، ويولد شكوكاً وظنوناً ، ويولد أيضاً أحلاماً ...

لا يوجد فكر عقيم ولا فكر عاقر، وبخاصة مع العقل الخصب. فقد يأتيك فكر من أى مصدر ، فتأخذ مع الفكر وتعطى. فيلد لك أفكاراً أخرى كثيرة . وترسخ هذه فى العقل الباطن . والعقل الباطن هو مصدر آخر للأفكار .

العقل الباطن

والعقل الباطن تخزن فيه الأفكار والصور الأحداث والرغبات والمشاعر ، ويصبح

مصدر لأفكار وأحلام وفتنون .

أضرب لك مثلاً بالريكوردر أو الكمبيوتر، حيث تخزن فيه معلومات تسترجعها متى تشاء .. عقلك أصعب من هذا الكمبيوتر، لأن المعلومات التي فيه قد تخرج منه دون أن تشاء ، كأفكار أو أحلام، وهنا أتذكر سؤالاً وجهه البعض إليّ :
هل الأحلام الخاطئة تعتبر خطية ، بينما هي بغير إرادتي؟

وكانت الإجابة : قد تكون الأحلام الخاطئة بغير إرادتك وقت خروجها من العقل الباطن. ولكنها لم تكن بغير إرادتك وقت تخزينها فيه . أما إن كانت مجرد محاربة من العدو، وبغير إرادتك، فستجد أنك تقاومها وترفضها في الحلم، وربما تستيقظ، كشيء مزعج لم تحدثه ...

فابحث هل أحلامك من رواسب قديمة ترسبت في عقلك نتيجة لشهوات أو صور أو أفكار؟ لهذا نقول عن هذه الأحلام أنها "شبه إرادية" . لأنها ليست نتيجة إرادة حاضرة، إنما نتيجة لإرادة سابقة. ومع ذلك لو كانت الإرادة الحاضرة ترفضها تماماً، فستجد أنك تقاومها في الحلم .

من مصادر الفكر أيضاً أسباب نفسية :

أسباب نفسية

إنسان مثلاً في طبيعه القلق أو الإضطراب، تجده - بدون أى سبب خارجي - خاضعاً لأفكار القلق والإضطراب النابعة من نوعية نفسيته. كذلك إن كان إنسان في نفسيته طبع الخوف، تجد أن أفكار الخوف تطارده .. وبالمثل إذا كان شخص شاكاً بطبيعته، تجد أفكار الشك تراوده وتتعبه ، بدون أى سبب واقعي ...

لمعالجة كل هذه الأفكار ، لابد من معالجة النفسية .

فإذا صلحت النفس ، صلحت الأفكار أيضاً .

لذلك تجد الشخص البسيط ، لا يراوده الشك . والإنسان الوديع الهادئ، لا تحاربه

أفكار القلق ولا الخوف ..

إنسان يسمع خبراً ، فيقول لك هذا الخبر خطير . وقد لا يكون خطيراً على الإطلاق .

ولكن نفسيته صورته له هكذا . وحسب نفسيته ستكون أفكاره .. بينما شخص آخر يتلقى

نفس الخبر بكل هدوء ، ولا تنزعج أفكاره بسببه .

إنسان حسب نوع نفسيته تأتيه أفكار يأس ، فينسحب من مشروع معين. بينما زميل له في نفس المشروع ، لا ييأس ولا ينسحب ، بل يستمر وفي قلبه أمل ورجاء ...
ثلاثة يرون شخصاً واقفاً في الظلام ، فيقول أحدهم أنه لص أو قاتل ، ويقول الثاني : لعله في موعد مع امرأة . بينما يفكر الثالث إنه واقف يصلي . حسب نفسية كل منهم تكون أفكاره . مصدر آخر للأفكار هو حروب الشياطين .

حروب الشيطان

ربما لا تكون الأفكار نابعة من قلب الإنسان أو من نوع نفسيته، ولا هي بسبب البيئة والتأثيرات الخارجية . إنما قد تكون أفكاراً من الشيطان يلقبها في العقل .
متى تعتبر هذه الحروب قد وصلت إلى مرحلة الخطية ، ومتى لا تكون خطية ؟ وما موقف الإنسان منها ؟

الفكر ومحارباته

فى العقل طبقتان : طبقة سطحية ، وطبقة عميقة .

الأمور التى تأخذها بطريقة سطحية ، أى لا تهتم بها إهتماماً كبيراً ، هذه لا تتعمق فى ذهنك ، وسرعان ما تتساها . مثلها مثل كثير من الأخبار والأحداث التافهة والعارضة فى حياة الإنسان اليومية . هذه لا تثبت فى الذاكرة ، ولا فى القلب والمشاعر . بل كبخار تظهر قليلاً ثم تضحل ...

أما الأمور التى تأخذها بعمق ، سواء من الناحية الفكرية أو النفسية ، وتظل تأخذ معها وتعطى فى فكرك ، ويستمر عقلك يفكر فيها فترة طويلة .. فهذه تدخل إلى أعماقك ، وترسب فى عقلك الباطن . وتلد لك أفكاراً أخرى ، أو تظهر ثمارها فى أحلام وظنون ومشاعر .

الأمر إذن يتوقف على طريقته فى التفكير . ليس فيما يحدث لك أو معك ، إنما فى تجاربك مع الفكر ، أى فى الـ Response .

خذ مثلاً الصلاة والسرحان فيها ، وعلاقة ذلك بالطبقتين السطحية والعميقة فى عقلك .
وهنا نسأل :

لماذا يسرح الإنسان أحياناً فى صلاته ؟ وفى أى شئ يسرح ؟ ولماذا ؟ ومتى ؟
إنه يسرح حينما يأخذ بعض الأمور فى عمق، وتظل معه فى فكره أثناء الصلاة. أو أنه يتذكر أموراً أخذها من قبل بعمق، وتصاحبه فى صلاته . وحينئذ يكون فى عقله فكران يتمشيان معاً : فكر الصلاة وفكر السرحان . وقد يتبادلان الموضع . فيكون أحدهما فى المنطقة السطحية، والآخر فى المنطقة العميقة ، حسب درجة جهاده وتركيزه فى ألفاظ ومعانى الصلاة ، أو استسلامه لفكر السرحان . فإن كان يصلى بغير فهم أو بغير عمق، حينئذ يدخل إلى أعماقه فكر السرحان . ويصبح وكأنه لا يصلى !!

أما الذى يصلى من عمق فكره ومن عمق قلبه : إن أتاه فكر سرحان، فإن هذا الفكر

يمضى بسرعة إذ لا يجد له مكاناً فيه .

لذلك نقول للذين تحاربهم أفكار السرحان فى صلواتهم :

لا تأخذوا كل الأمور العالمية بعمق ، ولا تشغلوا أفكاركم بكل ما تجمعه الحواس مما تسمعونه وترونه .. ولا تجعلوا كل ذلك يرتبط بعقولكم ومشاعركم وأعصابكم . وإلا فإن العقل سوف يخزنه ثم يقدمه لكم أثناء الصلاة : أولاً فى المنطقة السطحية . فإن وجد استجابة منكم، يدخله إلى المنطقة العميقة .

وحبذا لو رتبتم فترة روحية تمهيدية تسبق الصلاة .

ينتقل بها الفكر من العالميات إلى الروحيات . لأنه صعب على العقل أن ينتقل فجأة من الإنشغال المادى إلى الفكر الروحى الصافى ...

وهكذا من الأفضل أن يسبق الصلاة وقت للترتيل أو القراءة الروحية، أو التأمل أو التعمق فى فكرة روحية معينة ، أو بعض المطانيات مصحوبة بابتهالات سريعة .. ثم يقف الإنسان بعد ذلك ليصلى ، وقد ابتعد فكره عن أمور العالم ومشغوليته . ويكون هذا التمهيد الروحى ، مثل رفع البخور على المذبح قبل تقديم الذبيحة المقدسة عليه ...

يذكرنا هذا بقصة القديس يوحنا القصير ، الذى رآه تلميذه يلفاً حول قلبيته ثلاث مرات قبل أن يدخلها . فسأله عن سبب ذلك ، فأجابه القديس : كنت وسط مجموعة من الأخوة. وقد أخذوا يتناقشون، فتركهم وجئت . ولكن صوت المناقشة كان لا يزال فى أذنى، فرأيت أن أدور حول قلبيتى ، لأطرد صوت المناقشة من أذنى قبل أن أدخل القلاية... إلى هذا الحد كان القديس محترساً من جهة نقاوة فكره .

يتعب الإنسان أيضاً ، إذا أخذ كل الأمور بحساسية .

أى أنه يتأثر بكل شئ ، وفى عمق : هذه الحساسية تجعل كل ما يتأثر به، يترسب فى داخله، ويجلب له أفكاراً تضغط عليه وتتعبه .

وهنا يختلف طبع كل شخص عن الآخر ، ويختلف فكره .

فإن صادفتك مشكلة، حاول أن تحلها وتنتهى منها وإن وجدت أنها صعبة الحل، اتركها إلى حين، ولا تشغل بها . اعطها مدى زمنياً تحل فيه، تاركاً الأمر إلى الله حلال المشاكل. ولكن سيطرة الأفكار ، تأتي لإنسان يفكر بعمق وبغير حل . أو أنه يفكر فى متاعب المشكلة، دون أن يفكر فى حل المشكلة .

وهذا هو السبب الذى يجعل البعض - إن صادفته مشكلة - تسيطر على عقله

ومشاعره وأحاسيسه وانفعالاته . فلا يفكر إلا فيها ، ولا يتكلم إلا عنها . هي معه في صحوه وفي نومه ، في تفكيره ، وفي أحاديثه . أدخلها إلى أعماقه . ولم يعد قادراً على الخروج من مجالها ، عقله يسلم المشكلة إلى قلبه . وقلبه يسلمها إلى فكره . وفكره وقلبه يسلمانها إلى أعصابه . وأعصابه تسلمها إلى إنفعالاته وإلى لسانه أيضاً ، فيظل يتحدث بها مع كل من يتحدث يقابله .. وقد يستمر معه التفكير في المشكلة أياماً أو أسابيعاً . ينشغل بها نهاراً ، وقد يحلم بها ليلاً .

وربما يجلب له هذا التفكير ألواناً من الأمراض الجسدية : من ضغط دم ، وسكر ، وقرحة في المعدة ، وتعب في الأعصاب . إلى جوار التعب النفسي .. كل ذلك ، لأنه تعامل مع الفكر بحساسية زائدة ، فسيطر الفكر عليه ...

أما الإنسان الروحي فإنه يسيطر على الفكر . ولا يجعل الفكر يسيطر عليه . على أن هناك نوعاً من الناس ، لا يحب أن تسيطر عليه الأفكار . فيقول : الأفضل أن أصرف الفكر . ولكنه للأسف يصرفه بطريقة خاطئة!!
فإن أساء إليه إنسان وغضب ، يقول لا أكبت الغضب في قلبي ، وإنما لابد أن أصرفه . أنا سأرد على هذا الشخص ، الكلمة بكلمتين . وأصفي حسابي معه . أقول له .. وإن قال أقول .. وهكذا يظل الفكر منشغلاً .. ولا يكون قد تخلص من الفكر ، بل زادت سيطرة الفكر عليه ...

حسن أن تصرف الفكر . ولكن بطريقة روحية وعملية ، وبلا كبت ..
وإن اشتعل الفكر داخلك ، لا تلقى عليه كل حين وقوداً .
وتصفية الأفكار تأتي أولاً من الداخل ، من طريقة تعامل القلب معها . بالإضافة إلى التخلص من الأسباب التي تجلبها من الخارج ، كما ينبغي عدم التساهل مع الفكر ، وعدم إعطائه فرصة يأخذ فيها سلطاناً على العقل .

محاربة الفكر

هنا ويسأل البعض سؤالا طالما يتكرر :
هل كل فكر خاطئ يأتينا ، يعتبر خطية ؟
والجواب على ذلك هو : من الجائز أن يكون الفكر محاربة من الشيطان ، أو هو قادم إليك من الخارج ، من مصدر خارج عنك ، أو من الناس الأشرار ..

أما إن كان صادراً من قلبك ، من رغباتك الداخلية ، ومن شهواتك ، فهو حينئذ يكون خطية ١٠٠٪ .

فإن كان الفكر الخاطئ صادراً من الخارج ، فإن الحكم عليه يتوقف عليك: هل تقبله أو لا تقبله .

إنه لا يعتبر خطية ، إن كنت لم تقبله ، بل تضايقت منه وطرדתه ، حتى لو ألح عليك وأنت رافض له بكل قلبك. بل قد تصلى أثناءه وتقول : "يارب نجنى من هذا الفكر" .. حتى هذه المرحلة يعتبر الفكر محاربة خارجية ... إذن متى يعتبر الفكر الخاطئ خطية ؟ إن الخطية تبدأ من بدء استسلامك للفكر .

وتزيد إن انفعلت بها ، وقبلتها ، وخضعت الإرادة لها . حينئذ يكون العقل قد فتح لها بابها ، بإرادته ، واستمر معها ، وبدأ يتعامل معها ، ويأخذ ويعطى . بل ربما يكون قد تجاوب معها وخطها بمشاعره ، وأسكنها داخله ...

لذلك حسناً قيل في سفر النشيد "أختى العروس جنة مغلقة، عين مقفلة، ينبوع مختوم" (نش: ٤؛ ١١) أى مغلقة ومقفلة أمام كل أفكار الشيطان وحيله . وعن نفس الأمر قيل في المزمور "سبحى الرب يا أورشليم .. لأنه قوى مغاليق أبوابك" (مز ١٤٧) . واعلم يا أختي أن فكر المحاربة حينما يأتيك يكون فى أوله ضعيفاً ، وفى الطبقة السطحية من عقلك .

ذلك لأنه من الخارج ، ومن السهل عليك أن تطرده . فإن قبلته ، يدخل إلى العمق شيئاً فشيئاً . فإن انفعلت به ، يزداد تعمقه ، ويرتبط بإرادتك . فإن وصل إلى القلب ، يختلط بمشاعرك . وحينئذ تصبح المحاربة من الداخل وليس من الخارج . ومن هنا تبدأ سطوة الفكر وصعوبة طرده .

حقاً ، ما أسهل أن تدخل الأفكار ، وما أصعب أن تخرجها .

ما أسهل أن تقبل الفكر ، وما أصعب أن تطرده .

فكر الشك مثلاً . من الجائز أن يدخل إلى العقل بسهولة . ولكن من الصعب أن يخرج . وهكذا فكر الشهوة ، وفكر الانتقام ، وفكر العظمة والمجد الباطل . احترس إذن من دخول الأفكار إليك .

ليس كل فكر يقرع على بابك ، تقول له : مرحباً بك . تفضل وادخل .

بل الفكر الشرير تقول له 'أذهب يا شيطان' (مت: ٤؛ ١٠) . وترشم نفسك بعلامة

الصليب، وتطرد الفكر . لأتلك إن فتحت له أبواب فكري، تكون خائناً لله. وإن فتحت له أبواب قلبك، تكون أكثر خيانة . وتكون كمن يطرد الروح القدس الساكن فيك (١كو٣: ١٦) . وأعلم أنه حينما يحاربك الفكر من الخارج ، تكون إرادتك أقوى وتقدر أن تطرده. وكلما زحف الفكر إلى داخلك، تضعف إرادتك ، ويقوى الشيطان في محاربتك لك . ويقول هوذا قد فتح باب التفاوض معنا . نستطيع الآن أن نتفاهم معه ، ونضمه إلينا بالكامل !!

يكون كمن يعرض رشوة على شخص ما ، فإن وجده لينا معه، يستمر في التفاوض، وتتم العملية. أما إن كان حازماً ويصده من البدء ، فإنه لا يجرو .. عليك إذن أن تصد الفكر من البدء . ولا تخدع نفسك وتقول : أريد أن أختبر الفكر وأرى إلى أين ينتهي !! فأنت تعلم تماماً إلى أين ينتهي ...

إذن اطرد الفكر بسرعة قبل أن يتوغل فيك . أطرده وهو في مرحلة طفولته ، قبل أن ينضج ويكبر ويقوى عليك .

وهنا نذكر قول المزمور "يا بنت بابل الشقية .. طوبى لمن يمسك أطفالك ويدفهم عند الصخرة" (مز ١٣٧: ٩) . فالفكر - وهو طفل - تستطيع أن تدفنه عند الصخرة "والصخرة كانت المسيح" (١كو ١٠: ٤) . أما إن تركته إلى أن يكبر، فقد لا تقوى عليه. وحسناً قال الآباء "أدبوا الأحداث قبل أن يؤدبوكم". فإن أدبت الطفل، لا يجرو عليك عندما يكبر . كذلك إن أدبت فكر الخطية وهو طفل، تستطيع أن تطرده قبل أن يكبر ..

إن سيطرة الأفكار قد يكون سببها أيضاً شهوة خاطئة في القلب، وليس مجرد محاربة من الخارج .

وفي هذه الحالة تصدر الأفكار من القلب، وتشعلها الشهوات، وتلح على الفكر إلحاحاً لا يستطيع منه فكاً ، تريد أن تحول الفكر إلى فعل ...

فالخطية قد ملكت القلب وكل مشاعره ، وبالتالي ملكت الفكر . وأصبح من كنز قلبه الشرير يخرج الشرور' (لو ٦: ٤٥) .

والأمر يحتاج بلا شك إلى توبة ، تنقذ القلب من شهواته ، فلا يعود مصدراً لأفكار شريرة .. ويحتاج الأمر إلى تجديد الذهن ، كما قال الرسول 'تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم' (رو ١٢: ٢) .

وتجديد الذهن يحتاج إلى عمل إيجابي ، فلا يقتصر الأمر على مجرد الجهاد السلبي في مقاومة الأفكار .

الفكر ومخارباته (ب)

مخاربات الفكر كما قلنا إما تأتي من الداخل أو من الخارج .
المخاربات التي من الخارج ، هي مثل ما حدث لأمناء حواء :
إنسانة بسيطة وهادئة وبريئة ، وأتاهها الفكر من خارج ، من الحية . أفكار شك مثل :
"أحقاً قال لكما الله أن لا تأكل...؟" "كلا، لن نموتاً" "يوم تأكلان من الشجرة ، تصيران مثل
الله، عارفين الخير والشر" .. (تك ٣) .

هذا الفكر الذي أتى إلى حواء من الخارج ، أتعبها ، وذلك لأنها قبلته .
وانتقل الفكر إلى الحواس ، ثم إلى القلب .

انتقل إلى الحواس ، فنظرت إلى الشجرة ، بنظرة ليست كما كانت تراها من قبل .
فوجدت أن الشجرة "جيدة للأكل ، وأنها بهجة للعيون ، وشهية للنظر" (تك ٢ : ١) .
القلب تغير من الداخل ، وكذلك الحواس من الخارج . والفكر فقد نقاوته ، ودفع الإرادة
بعيداً عن الله .

أما أنت : فإن أذاك فكر خاطئ ، قاومه .

وكل فكر خاطئ ، يوجد أسلوب تقاومه به . فهناك فكر ترد عليه بآية أو بضع آيات ،
فيهرب منك . وفكر آخر ترد عليه بمشاعر معينة ، فلا يثبت أمامك ...

ولنأخذ فكر الكبرياء أو المجد الباطل ، كمثال :

هذا الفكر يمكن أن تقاومه بأن تتذكر خطاياك ، فيخجل من تذكرها فكر الكبرياء . أو
أن تتذكر الدرجات العليا التي وصل إليها القديسون ، فتشعر أنك لاشئ إلى جوارها . أو
أن تقول لنفسك : لو أنني سرت في هذا الفكر ، لتخلت عنى النعمة وفارقنتي ، وحينئذ
أسقط في خطايا كثيرة ، كما قال الكتاب "قبل الكسر الكبرياء . وقبل السقوط تشامخ الروح
(أم ١٦ : ١٨) أو أنك تقول لفكر الكبرياء : هذا العمل الذي أفتخر به ، لم أعمله أبداً ، إنما

عمله الله بواسطتى . فإن نسبته إلى نفسى، فسوف لا يعمل الله معى، لئلا يقودنى ذلك إلى الإفتخار وبهذا أفضل فى أداء أى عمل صالح !! وليس هذا من صالحى .. وهكذا تجد أن تذكرك لعمل النعمة فىك، يبعد عنك فكر الكبرياء . وبهذه الطرق وغيرها تتخلص منه...

هناك قديسون تخصصوا فى التعامل مع الأفكار ...

وكانوا مرشدين فى أساليب محاربتها . ومن بين هؤلاء القديس مارأوغريس الذى له ميامر (مقالات) عن حرب الأفكار والرد عليها .

ومن وسائل تلك الرد على كل فكر بآية من الكتاب .

فإن حاربتك أفكار الغضب مثلاً ، تضع أمامها قول الكتاب "...لأن غضب الإنسان لا يصنع برّ الله" (يع ١ : ٢٠) .

وإن حاربتك أفكار الزنا، تقول كما قال يوسف الصديق "كيف أصنع هذا الشر العظيم، وأخطئ إلى الله؟! (تك ٣٩ : ٩) . أو تتذكر قول القديس بولس الرسول "لا تضلوا . لا زناة، ولا عبدة أوثنان، ولا فاسقون ولا مأبونون، ولا مضاجعو ذكور، ولا سارقون.. يرثون ملكوت الله" (١كو ٦ : ٩ ، ١٠) . وإن حوربت بمحبة العالم ، تذكر قول القديس يعقوب الرسول "...لأن محبة العالم عداوة لله" (يع ٤ : ٤) ، وكذلك قول القديس يوحنا الرسول "لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم.. إن أحب أحد العالم، فليست فيه محبة الأب" (١يو ٢ : ١٥) .

وهكذا تضع أمام كل فكر آية تطرده . لذلك عليك أن تحفظ آيات ترد بها على الأفكار التى تحاربك ، فتصدها بها .

آباؤنا القديسون كانت لهم خبرة فى محاربة الأفكار .

لبيتنا نتذكر تلك الخبرة فى قراءتنا لسيرهم ، ونستفيد بذلك .. أما أنت فعلى الأقل : لا تقبل أى فكر ردى ، بل أطرده بسرعة. ولتكن أبوابك مغلقة دونه، حسب تعليم الكتاب .. كما يجب أن ترد عليه بحزم. وتذكر كيف أن أيوب الصديق ، لما عرضت عليه زوجته فكراً خاطئاً ، ردّ عليها فى حزم . وانتهرها قائلاً "تتكلمين كلاماً كإحدى الجاهلات" (أى ٢ : ١٠) . فأسكتها بسلطان ، ولم يدعها تتمادى فى الكلام . وهكذا أنت أيضاً : إن راودتك نفسك بأى فكر خاطئ، أسكتها، ولا تجعلها تتمادى فى الفكر . بل قل لها فى حزم: تتكلمين كلاماً كأحدى الجاهلات" ...

هناك طريقتان تتخلص بهما من حروب الأفكار ، وهما : تنقية القلب والفكر . وأيضاً

إنشغال الفكر

إنه أسلوب وقائي وإيجابي تتخلص به من الأفكار ، من قبل أن تجئ .
لأنه إن انشغل فكرنا بالله ، نصل إلى محبة الله . وإن تعمقت محبة الله في قلوبنا ،
تصير طبيعتنا غير قابلة لأفكار العدو .

مثل إنسان قوى في صحته . إذا حاربه ميكروب ، لا يستطيع أن يقوى عليه . أو
شخص محصن ضد مرض معين ، فذلك المرض لا يجد له مجالاً عنده . إنه لا يترك نفسه
حتى تصيبه الأمراض ثم يعالجها !! بل يتخذ الوسائل التي تمنع إصابته بالمرض .
فالإنسان الروحي يحصن نفسه ضد الأفكار الشريرة ، بأن يملأ قلبه وعقله بمحبة الله
ومحبة الخير . لذلك نقول له :

إشغل عقلك ، قبل أن يأتي الشيطان ليشفغه .

إشغل عقلك بالفكر الصالح ، بالتأملات والقراءات الروحية، قبل أن يأتي عدو الخير،
ويقدم لك أفكاراً من عنده .

لأنه إن كان لإنسان سكن . وتركه فارغاً ، قد يأتي أناس أشرار ويحتلونهم ويسكنونهم .
وإخراجهم منه ربما يحتاج إلى تعب وجهد . أما إن كان في هذا المسكن نور وأثاث
وكراسي مثلاً في شرفاته ، فإنه لا يجرو أحد أن يدخله عنوة، إذ يخاف من ساكنيه .
ويرى أنه إن أقدم على ذلك سيتعرض للمخاطرة ...

هكذا إن كنت منشغل الفكر ، يعرف الشيطان أنك لست متفرغاً له ، فيتركك ولو إلى
حين ...

فإن كنت منشغلاً باستمرار ، يحتار كيف يدخل إليك ... ليس فقط بسبب الإنشغال
الروحي، بل حتى الإنشغال العلمي أيضاً، والإنشغال بالعمل، وبالأشطة المتعددة ، وحتى
الإنشغال بالرياضة أو الفن ، أو العمل اليدوي .

لذلك فإن الطلبة المجتهدين ، الذين يشغلون عقولهم دائماً بدراساتهم ، يكونون غير
متفرغين لأفكار الخطية . كما يقول المثل :

عقل الكسلان معمل للشيطان .

وبالتالي فإن الطلبة المهملين لدراساتهم ، يكونون أكثر تعرضاً لأفكار الخطية . لأن

عقولهم غير منشغلة ، فيأتى الشيطان ويعشش فيها ...
اشغل عقلك إذن بشئ مفيد ، سواء كان مفيداً لروحانيتك وأبديتك ، أو مفيداً لمعرفةك
وثقافتك ، أو مفيداً لخدمتك . اشغل عقلك بقراءات وتأملات ، بفكر نافع لك ..
لكن إن كنت فى فراغ ، وعقلك فى فراغ ، ما أسهل أن يقول لك الشيطان : اسمح
لى أن أجلس معك وأسئلك ...

أحكى لك حكاية ، أقدم لك فكرة من عندى ، مادمت لا تجد شيئاً تفكر فيه ... وهكذا
يسرح بك من موضوع إلى موضوع ، حتى يدخلك بالتمام إلى مجاله ، ويسيطر على
تفكيرك . أو على الأقل يضيع وقتك فى ما لا يفيد ...

إن أباعنا القديسين الذين كانوا يتدربون على الصلاة الدائمة ، أو يرددون صلاة "يارب
يسوع" مئات أو آلاف المرات ، كان عقلهم ينشغل بهذه الصلاة ، بحيث يرددها تلقائياً ..
فإن سكت الواحد منهم ، يظل عقله منشغلاً بهذه الصلاة ، بدون جهد منه ، وبدون أن يدفعه
لتردادها .

هكذا أيضاً من يشغل عقله بآيات يرددها ، أو بموضوع روحى يتأمله ، أو بقصة من
الكتاب المقدس أو من سير القديسين ...

لذلك فى خروجك من بيتك ، لا تترك نفسك للطريق يرتب لك ما تفكر فيه .
لا تترك عقلك سائياً ، دون فكر معين يربطه وينشغل به . لا تتركه للقاءات وللمناظر
ولالأحاديث ، ترسم له مسار تفكيره ، وتقدم له الفكر الذى يشغله والوقود الذى يشعله ...
ما أسهل عندما تخرج من بيتك ، أن تأخذ معك آية أو مزموراً ، أو موضوعاً روحياً ، أو
فكرة معينة لها عمقها ، لكى يكون لك ذلك غذاءً لفكرك فى الطريق .

فى الصباح اقرأ فصلاً من الكتاب ، وتخير لك معنى من معانيه يصحبك فى الطريق ،
أو مزموراً تحفظه . وليكن ذلك موضوعاً لتفكيرك . وهكذا إن هاجمك فكر ، يجذبك
مشغولاً ، وأبوابك مغلقة أمامه .

والعقل لا يستطيع أن يفكر فى موضوعين فى وقت واحد ، وينشغل بهما بنفس
العمق ...

فإن أعطيت عمق فكرك لشيء مفيد . سيطفو أى فكر آخر على سطح عقلك ، وينتشر
بسرعة . لأنك غير مهتم به وغير متفرغ له .. فإن أردت أن تقى نفسك من حروب
الأفكار ، عليك بالآتى :

قدم لعقلك طعاماً روحياً ، قبل أن يقدم له العالم طعاماً ردياً .
كذلك ينفعك أن تكون لك مذكرة روحية، تسجل فيها بعض أفكار تركت في نفسك أثراً
طيباً .

تفتح هذه المذكرة بين الحين والآخر ، لتقرأ ما قد خزنته فيها ، وتجتره كما يجتر
الجمال غذاء سبق له تخزينه من جوفه . وتسرح في تلك الأفكار الجميلة . وتضيف إليها
أفكاراً أخرى نافعة .

أما إن كانت في عقلك أفكار خاطئة مترسبة من زمن قديم ، فحاول أن تطهر عقلك
منها بعدم الإستعمال ، وبإحلال غيرها مكانها ...
كذلك لا تشغل عقلك بأفكار تافهة ، لا هي خير ولا شر . ولكنها قد تتطور ولا
تستطيع ضبطها ...

[وقد حدثت عن هذا الأمر باستفاضة في كتاب "حياة التوبة والنقاوة" في باب نقاوة
الفكر] ...

وحاول أن تنقى قلبك من الداخل ، لأن القلب النقي لا تخرج منه أفكار خاطئة .
وقد قال السيد الرب في ذلك "لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع ثماراً ردية، ولا شجرة
ردية أن تصنع ثماراً جيدة" (مت ٧: ١٨) .

الفصل التاسع

الروح

الذوق السائت

روح الإنسان وعلاقتها بالروح القدس

إذا تكلمنا عن الحياة الروحية ، أو الحياة بالروح، لابد أن نتعرض لأمرين هامين وهما: الروح الإنسانية ، وروح الله القدس من حيث عمله في روح الإنسان .

الروح الإنسانية

يقول القديس بولس الرسول في رسالته إلى رومية:

إنّ لاشئ من الدينونة الآن على الذين في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد، بل حسب الروح" (رو ٨: ١) .

إنه يدقق هنا على السلوك حسب الروح .

والذي يسلك حسب الروح ، لابد أن يقوى روحه، حتى يمكنها أن تنتصر على الجسد ، وعلى المادة والخطية والعالم ...

وهكذا يقول في نفس الإصحاح "فإن الذين هم حسب الجسد، فيما للجسد يهتمون . ولكن الذين حسب الروح، فيما للروح (يهتمون). لأن إهتمام الجسد هو موت. ولكن إهتمام الروح هو حياة وسلام" (رو ٨: ٥ ، ٦) .

قوة الروح تظهر حتى في الشخص غير المؤمن . الهندوس مثلاً لهم تداريب روحية عميقة يقوون بها أرواحهم البشرية، فتكون أرواحهم أرواحاً قوية .

انظروا إلى جماعات اليوجا، بتدريبيهم تصبح أرواحهم قوية، بغض النظر عن عمل الروح القدس .. وهكذا يمكن لكثيرين من غير المسيحيين الذي لا يؤمنون بالروح القدس، ولم يمسحوا بمسحة الميرون المقدس أن تكون لهم أرواح بشرية قوية، ويمكنهم أن يسلكوا

فى حياة صالحة ، ويبتعدوا عن شهوات العالم الرديئة ، بغض النظر عن ناحية الإيمان ...
أما المؤمن فعليه أمران : تقوية روحه الإنسانية ، وأيضاً الشركة مع الروح القدس .
ولاشك أن هذا يكون فى مستوى روحى أعلى بكثير من غير المؤمن .

شركة الروح القدس

حينما تشترك الروح الإنسانية مع الروح القدس ، يكون عليها واجبان : أحدهما إيجابى
والآخر سلبى .

أما الجانب السلبى، فهو أن تبتعد عن إطفاء الروح، وإحزان الروح، ومقاومة
الروح، والتجديف على الروح .

وعن هذا يقول الكتاب "لا تطفنوا الروح" (١ تس ٥ : ١٩) ، "لا تحزنوا روح الله الذى به
ختمتم.." (أف ٥ : ١٨) . وتكلم الكتاب أيضاً عن مقاومة الروح، فى قول القديس اسطفانوس
أول الشمامسة لليهود "يا قساة الرقاب .. أنتم دائماً تقاومون الروح القدس، كما كان أبائكم،
كذلك أنتم" (أع ٧ : ٥١) . والتجديف على الروح القدس، ذكره السيد الرب (مت ١٢ : ٣١) .

أما للعلاقة الإيجابية بالروح القدس ، فتبدأ بالمولد من الروح .

وهكذا قال الرب "المولود من الروح، روح هو" (يو ٣ : ٦) . وقال "إن كان أحد لا يولد
من الماء والروح، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو ٣ : ٥) . وهكذا يولد الإنسان من
الروح فى المعمودية .

ثانى علاقة بالروح هى فى مسحة الروح القدس .

هذه التى ذكرها القديس يوحنا الرسول فى (ايو ١ : ٢٠ ، ٢٧) فقال "وأما أنتم فلکم
مسحة من القدس.." إنها المسحة المقدسة فى سر الميرون المقدس .

وهكذا بالمسحة يصير جسد الإنسان هيكل للروح القدس .

وعن ذلك قال القديس بولس الرسول "أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل الروح
القدس الذى فيكم.." (١ كو ٣ : ١٦) .

النقطة الثالثة فى العلاقة بالروح القدس هى الشركة مع الروح .

وفى هذا يقول القديس بولس الرسول فى البركة الختامية "نعمة ربنا يسوع المسيح ،
ومحبة الله، وشركة الروح القدس، تكون مع جميعكم (٢ كو ١٣ : ١٤) . إنها شركة لروح
الله مع روح الإنسان . شركة فى العمل . فيها يعمل روح الله معك، وفيك ، وبك .

المهم في هذا أن تستجيب روح الإنسان لعمل الروح القدس فيها.

وبهذا تكون في شركة معه ، أما التجديف على الروح، فهو رفض عمل الروح ، رفضاً كاملاً ، مدى الحياة، وبهذا لا يتوب الإنسان، لأنه لا يستطيع التوبة بدون عمل الروح فيه. وإذا لا يتوب، لا تغفر له خطاياها .

رابعاً : أما الشركة مع الروح، فيظل الإنسان ينمو فيها ، حتى يصل إلى إتمام الوصية

القائلة :

"امتلئوا بالروح" (أف ٥: ١٨) .

أو على حسب ترجمة أخرى "اجعلوا روح الله يملوكم" ..

خامساً : وبالشركة مع الروح ، والإمتلاء بالروح، يصل الإنسان إلى نتيجة هامة، وهي ثمار الروح ، التي ذكرها القديس بولس الرسول في رسالته إلى أهل غلاطية (غل ٥: ٢٢، ٢٣) . وثمار الروح تأتي كنتيجة لعمل روح الله في الإنسان ، ونتيجة لإستجابة روح الإنسان لعمل روح الله ، واشتراكها معه .

أية نتيجة للأمرين معاً .. وهذا هو المنهج الروحي المتكامل ، بالنسبة لسلوك الإنسان في حياة الروح . وإذا سارت روح الإنسان في شركة مستمرة مع روح الله، فلا بد أن تصل إلى نتيجة واضحة ، وهي :

سانساً : حرارة الروح ، كما قال الرسول "حارين في الروح" (رو ١٢: ١١) .

مادام قد قيل عن الرب "إلهنا نار أكلة" (عب ١٢: ٢٩) .. إذن فمن الطبيعي أنه إذا اشترك روح الإنسان مع روح الله، لابد أن يصبح هذا الإنسان حاراً في الروح ... وكلمة ابتعد عن الله، تفتر روحه .

ليس غريباً إذن أنه عندما حل روح الله على التلاميذ في اليوم الخمسين حل بالسنة كأنها من نار" (أع ٢: ٣) .

وهكذا لأن الملائكة أشخاص رويون، أو لأنهم أرواح، لذلك قيل عنهم في المزمور "الذي خلق ملائكته أرواحاً وخدامه ناراً تلتهب" (مز ١٠٤: ٤) .

فالإنسان الذي يكون في حالة روحية ، تُعرف روحياته من حرارته :

يكون حاراً في الروح : إذا صلى ، تكون صلته حارة جداً، ملتبهة بالحب الإلهي. والصلاة بالروح تظهر حرارتها في الدموع . أو في الإنسحاق، أو في الإيمان القوى . أو ربما تكون حرارتها في ألفاظها وتعبيراتها .

ومن أمثلة الصلاة الروحية ، صلاة المؤمنين من أجل الرسل، التي زعزعت المكان (اع: ٤٤ : ٣١) .

أيضاً الإنسان المشتعل بالروح ، تظهر روحياته في حرارة خدمته .
خدمة ملتهبة ، فيها الغيرة النارية التي يقول فيها "غيرة بيتك أكلتني" (مز ١١٩) . فيها حماس الخدمة ، وقوة الخدمة، بعكس الخدمة غير الروحية، الخاملة الذابلة ، التي هي مجرد روتين وبلا تأثير .

الحياة الروحية الملتهبة تظهر أيضاً في حياة الإنسان الخاصة :
كما يقول القديس يوحنا الحبيب في بدء رؤياه "كنت في الروح، في يوم الرب" (رؤا: ١٠) ، أي في حالة روحية معينة ...

وقد تبدو حياة الروح في المحبة الإلهية القوية .
لأن المحبة وصفت بالنار ، كما قيل في سفر النشيد "مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفى المحبة، والسيول لا تغمرها" (نش: ٨ : ٧) . فالمحبة كالنار ، سواء كانت محبة لله، أو للناس، أو للكنيسة والخدمة .

عمل الروح في الإنسان يعطيه حرارة ، على أن البعض ربما يفهم الوداعة فهما خاطئاً، كما لو كان الوديع بلا حرارة ولا حيوية...
سابعاً : إذا سلك الإنسان حسب الروح، وتمتع بسكنى روح الله فيه، فإنه سوف يتمتع بما يسمى: سلطان الروح، أو قوة الروح .

يكون لروحه سلطان على جسده ، ويكون لروحه سلطان على الشياطين . كما قيل عن التلاميذ إن الرب "أعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها" (مت: ١٠ : ١) . وقال لهم "ها أنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو" (لو: ١٠ : ١٩) .
يكون للروح سلطان في تأثيرها حتى على الناس .
وهذا هو الذي يعطى للكلمة قوة ، ويكون لها سلطان أن تدخل إلى العقل والقلب ، وأن تحدث تأثيراً في الناس .

الشخص الذي يشعر بهيبة أبيه ويخافه ، هناك سلطان من روح أبيه عليه، وسلطان من الشريعة والوصية والطبيعة . أما الإنسان الذي لاتزال هناك معركة بين جسده وروحه "ويقاوم أحدهما الآخر" (غل: ٥ : ١٧)، وتقف الروح أحياناً في موقف المنهزم، فهذا قد فقد سلطان روحه. أما إذا انتصرت روحه، فحينئذ يكون لها سلطان .

هذا السلطان كان يجعل الشياطين ترتعب أمام بعض القديسين .

ثامناً: الإنسان الذى يحيا بالروح ، هو إنسان قوى ، ولا يخاف .

عنده قوة داخلية ، لا تخشى شيئاً من الخارج . أما الذين يخافون، فأرواحهم ليست لها قوة . وهكذا فإن الخائفين وضعهم سفر الرؤيا فى قمة الهالكين . إذ كتب "وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعجدة الأوثان وجميع الكذبة، فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت.." (رؤ ٢١: ٨) . عجيب أن الخائفين هم بعيدون عن روح الله الذى هو مصدر القوة .

هذا الذى قال عنه الرب "ولكنكم ستألون قوة متى حل الروح القدس عليكم . وحينئذ تكونون لى شهوداً" (أع ١: ٨) .

أما الذى أخذت روحه قوة من روح الله فإنه إن خدم يخدم بقوة. وإن تكلم ، يتكلم بقوة، وهكذا كانت الكنيسة الأولى قوية. وقيل عن خدمتها إن ملكوت الله قد أتى بقوة . أما عيب الخدام، فهو أنهم يخدمون كثيراً ، ولكن ليس بقوة .. يخدمون بنشاط كبير ، ولكن ليس بقوة الروح !!

الروح وكيفية الاهتمام بها

يقول القديس بولس الرسول "الذين هم حسب الجسد، فبالجسد يهتمون. والذين هم حسب الروح، فبالروح يهتمون" "لأن إهتمام الجسد هو موت. ولكن إهتمام الروح هو حياة" (رو ٨) .

إن كان الأمر هكذا ، فكيف يكون الإهتمام بالروح ؟

أنظر كيف تهتم بجسدك . وقارن هل بنفس الدرجة تهتم بالروح ؟

غذاء الروح

★ أنت تعطى جسدك غذاءه ، كل يوم . بل ثلاث مرات كل يوم . وتعطيه الغذاء بكميات كافية حسبما يلزمه .

فهل أنت تعطى روحك غذاءها ، كل يوم ؟

وأنت تعطى الجسد غذاءه من كل العناصر والأصناف اللازمة: تعطيه الكلسيوم لبناء

العظام، والحديد لبناء الدم، والبروتين لبناء الأنسجة. وتعطيه السكر والكريبوهيدرات لأجل الطاقة. وتعطيه ألواناً متعددة من الفيتامينات والعناصر .. فهل أنت تعطى الروح كل ما يلزمها من أصناف الغذاء .

الروح تحتاج في غذائها إلى القراءات الروحية ، وإلى التأمل الروحي، وإلى القداسات والإجتماعات الروحية، وإلى الأبحاث والتراثل، وإلى الفكر الروحي والتأثير الروحي، والمعاشرات الروحية ...

فهل أنت تقدم لها كل هذا الغذاء . لمنفعتها وتقويتها ؟

★وأنت تعطى الجسد راحته . والروح تحتاج إلى الهدوء والخلوة الروحية .. فهل تقدم لها ذلك؟ وهل تريحها أيضاً بالإيمان والسلام القلبي ؟

★الجسد أيضاً إذا مرض ، تعرضه على أطباء . وحسبما أمروا تنفذ، وتأخذ الدواء اللازم والعلاج. والروح أيضاً في مرضها تحتاج إلى أطباء روحيين ، هم الآباء الروحيون، المرشدون الروحيون الذين يلزمك أن تأخذ ما يصفونه لك من علاج .

وإن كان في الطب الجسدي ، الوقاية خير من العلاج .

ففي الطب الروحي كذلك أيضاً : تبعد عن كل ما يضعف روحك، عن كل أسباب الخطية . تبعد عن "المعاشرات الرديئة التي تفسد الأخلاق الجيدة" (١كو٥: ١٥ : ٣٣) . لأنه "طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار ، وفي طريق الخطاة لم يقف، وفي مجلس المستهزئين لم يجلس" (مز ١) . وهكذا تقوى الروح بالبعد عن الأجواء التي تضعف الروح أو تحطمها ...

كل هذه تقويات عادية . فكم بالأكثر يكون حال الروح، إن كان روح الله يعمل فيها ويتولى قيادتها .. وهنا نرى للروح مسحة من الجمال بما يُسمى (زينة الروح) .

زينة الروح

عجيب أن الإنسان - قبل أن يخرج من بيته - يقف أمام المرأة يتأمل نفسه، ليطمئن على أناقته وزينته وحسن مظهره ، بينما لا تهتم روحه ومنظرها وحسن زينتها . فما هي زينة الروح إذن ؟

الروح تتزين بالفضائل . مثال ذلك قول القديس بطرس الرسول : زينة الروح الوديع الهادئ " (١بط٣ : ٤) .

إن أورشليم السمائية ، التي تمثل الكنيسة في العالم الآخر ، قيل عنها في سفر الرؤيا
"مهياة كعروس مزينة لعريسها" (رو ٢١: ٢) .

وقيل في سفر النشيد عن الكنيسة بالإجمال، أو عن الروح البشرية بصفة خاصة إنها
"معطرة بالمر واللبان وكل أذرة التاجر" (نش ٣: ٦) ...

أمام الله تكون هكذا ، وأمام الناس أيضاً ، يرونها مزينة بالوداعة والرقعة والإتضاع
واللطف . فهل تطمئن على روحك هكذا - قبل أن تخرج من بيتك، وقبل أن تتقابل مع
الناس - حتى لا تعثر أحداً . بل على العكس - في زينتك الروحية - يرى الناس أعمالك
الحسنة. فيمجدوا أباك الذي في السموات" (مت ٥: ١٦) .

عن هذه الزينة الروحية نغنى نحن في التسبحة ونقول :

"زينت نفوسنا يا موسى النبي . بكرامة القبة ، التي زينتها"

وبهذه الزينة تتجمل الروح في مقابلتها للرب في السماء . يترك الإنسان جسده على
فراش الموت، وتخرج الروح صاعدة إلى الله، لها رائحة المسيح الزكية . كذبيحة مقدسة
يتسم منها الله رائحة الرضا (تك ٨) ...

إن الروح المزينة بالفضائل هي حقاً صورة الله على الأرض .

لقد خلقنا الله في البدء ، بهذه الصورة الجميلة ، بروح رأيناها في آدم وحواء، مزينة
بالبراءة والبساطة ، لا تعرف شراً على الإطلاق . كما يقول عنها سفر النشيد "مشرقة
كالشمس، جميلة كالقمر.." . وكما قال القديس يوحنا الحبيب :

كنت في الروح

هكذا قال في سفر الرؤيا "كنت في الروح ، في يوم الرب" .

فما هو معنى "كنت في الروح" ، لو أتيج لنا أن نتأمله ؟ إنها حالة روحية تذكرنا بقول
القديس بولس الرسول في صعوده إلى السماء الثالثة "كنت في الجسد، أم خارج الجسد،
لست أعلم، الله يعلم" (٢كو ١٢: ٢) .

إنها حالة إنسان كان في الروح . الروح وحدها تعمل ، والجسد معطل تماماً عن العمل
معها وهي في رؤياها . ليست حواس الجسد هي التي ترى، بل حواس الروح. ولا هو
الذي يسمع، بل هي حواس الروح ، تسمع أشياء لا يُنطق بها (٢كو ١٢: ٤) . لأن النطق
الجسدي خارج عن هذا النطاق . هذا النطق الجسدي لا يعرف هنا أن يدخل في غير

إختصاصه ..! كذلك من جهة النظر ..

إنها حالة "رجل مفتوح العينين ، يرى رؤى القدير" (عد ٢٤ : ٣ - ٥) .

تذكرنا بصلاة أليشع النبي من أجل تلميذه جيحزى : افتح يارب عيني الغلام فيرى (٢مل ٦) .. أو يقول السيد الرب لتلاميذه القديسين " ..أما أنتم فطوبى لعيونكم لأنها تبصر .." (مت ١٣ : ١٦) . إنه بلاشك لا يتحدث هنا عن عيون الجسد، بل عن بصيرة الروح . وبنفس المعنى نفهم قوله لهم " ..ولأذنانكم لأنها تسمع" ..

في الأبدية نرى ما لم تره عين ، ولم تسمع به إذن (١كو ٢ : ٩) ، لأنه أسمى من حواس الجسد ، وأعلى من مستواها في الإدراك .. نراه في الروح، وبالروح ... متى يعطينا الرب هذه البصيرة الروحية ، ويصبح كل منا إنساناً مفتوح العينين؟ ليتنا على الأقل نعطي لروح الله فرصة ليعمل فينا ، وندخل في شركة الروح ...

شركة الروح

ونقصد أن تحيا أرواحنا في شركة دائمة مع روح الله . هذه التي قال عنها معلمنا بولس الرسول " .. وشركة الروح القدس تكون مع جميعكم" (٢كو ١٣ : ١٤) . إذ نسلّم نواتنا لروح الله يعمل فينا ، وتشارك أرواحنا مع روح الله في العمل . فتصبح حياتنا كلها حياة روحية . يصبح كلامنا كلاماً روحياً ، ومحبتنا للناس محبة روحية، وتصرفاتنا تصرفات روحية . وحينما نسلك بحكمة، تكون حكمة روحية، نازلة من فوق من عند أبي الأتوار . وحينئذ ينطبق علينا قول الرسول :

" لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح، السالكين ليس حسب الجسد، بل حسب الروح" (رو ٨ : ١) .

الذين هم في المسيح يسوع ، هم الذين بدونه لا يقدر أن يعملوا شيئاً (يو ١٥ : ٥) . هؤلاء الذين قال عنهم الرب " ..وأكون أنا فيهم" (يو ١٧ : ٢٦) ... وكلما نموا في الروح، يستطيعون أخيراً أن يقولوا مع القديس بولس الرسول "أحيا لا أنا ، بل المسيح يحيا في" (غل ٢ : ٢٠) .

مادام المسيح هو الذي يحيا فيّ، إذن لا دينونة على الذين هم في المسيح يسوع، الذي يعمل هو فيهم ، مادام يحيا فيهم .. وكأنك - وأنت في هذا الوضع - تقول للرب :

عن أي شيء يارب تدينني؟! وأنا من ذاتي لم أعمل شيئاً !! لأن كل شيء بك كان،

وبغيرك لم يكن شيء مما كان ...

هذه العبارة قيلت في البدء عن الخليقة . ولكنها يمكن أن تُقال أيضاً بالمثل عن حياتك الروحية، في شركتك مع الله وروحه. لأن الذي في المسيح، هو خليقة جديدة* (٢كو٥: ١٧) .

وهذه الحياة التي لا ينفون عنها، هي حياة التسليم الكامل الدائم لروح الله . لا نعني بها شركة مؤقتة مع الروح القدس ، إنما شركة شاملة معه ، بحيث يشترك روح الله في كل عمل من أعمالك، في كل كلمة تنطق بها: كما قال الرب "لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم السماوي هو المتكلم فيكم (مت ١٠: ٢٠) ... ما أجمل هذا أن يشترك معك روح الله في كل شيء . لا ينفصل عنك، ولا تفصل أنت عنه . بل يسكن فيك، وتصبح هيكله (١كو٣: ١٦) .. وهكذا تكون أيضاً أداة في يديه يعمل بها ما يريد هو أن يعمله .
إن صرت هكذا ، تكون لك أيضاً هيئة الروح .

هيئة الروح

إن روحك تفقد هيبتها ، حينما تخضع للشيطان وتعطيه مجالاً أن يعمل فيها ويوجهها. أما الروح التي تصمد في قوة أمام الشيطان ، مستندة على الرب حبيبها (نش٣) .. فإن هذه تصبح لها هيئة أمام الشياطين . إنها روح الإنسان الذي وعده الله قائلاً "يسقط عن يسارك ألوف، وعن يمينك ربوات. وأما أنت فلا يقتربون إليك.." (مز ٩١: ٧) .

هؤلاء تصرخ الشياطين أمامهم خوفاً أو عجزاً .

حاولوا أن يجسوا نبضهم ، ليجدوا مدخلاً إليهم ، فلم يستطيعوا . فأصبحوا لذلك يخافون ، ولا يجسرون على الإقتراب منهم . يخيفهم أن يروا فيهم صورة الله . هيئة أرواحهم ليست عن عظمة أو كبرياء ، بل بسبب تواضعهم .

كما اعترف الشيطان قائلاً للقديس مقاريوس الكبير "بل بتواضعك تغلبنا" .. لأن الإنسان المتواضع ، يرى فيه الشياطين صورة الله المتواضع، الذي في تجسده "أخلى ذاته، وأخذ شكل العبد" (في٢: ٧) .. لأن التواضع هو حلة اللاهوت التي لبسها ، لما تجسد لخلصنا ...

إن الأرواح التي تهابها الشياطين ، هي أيضاً الأرواح التي جاهدت وغلبت .

إنها الأرواح التي لا تستطيع الشياطين أن تغويها أو تغريها ، ولا حتى بصعوبة ..
إنها أرواح لا تستسلم لعدو الخير ، ولا في الهفوات التي تبدو بسيطة . بل هي أرواح
مخلصة لخالقها ، لا تخونه في شيء ، بل تسلك بتدقيق (اف ٥ : ١٥) ... هي أرواح لم
تطلب من الشيطان شيئاً ، وليست لها شهوة على الإطلاق يحققها لها الشيطان . إنها
أرواح كبيرة .

أرواح كبيرة

كبيرة في محبتها ، وكبيرة في عفتها ، وكبيرة في قوتها واستطاعتها ...
إنها أرواح كبيرة في مستواها الروحي . لم تقف عند حدود التوبة والجهاد، وإنما ظلت
تتمو في حياة البر، حتى وصلت إلى القداسة ، وظلت تتمو في القداسة ساعية نحو الكمال،
حسب وصية الرب "كونوا أنتم أيضاً كاملين، كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل"
(مت ٥ : ٤٨) .

أرواح لا تسعى فقط لخلاص ذاتها ، بل لخلاص الذين يسمعونها أيضاً (اتى ٤ : ١٦) .
إنها أرواح تبني الملكوت .

هناك أرواح كبيرة ، لم يقتصر عملها على خدمة الله هنا على الأرض، بل حينما
تترك الجسد وتصد إلى السماء ، ينتدبها الله أيضاً لبعض خدمات على الأرض .
ينتدبها لإنقاذ بعض أولاده في العالم ، أو لأداء رسالة معينة ، كما يحدث مثلاً لروح
مثل مارجرجس، أو روح مارمينا، وبعض الشهداء والقديسين الذين نطلب شفاعتهم . ولم
تنتهِ حياتهم بالموت ، بل مازالوا يعملون ...

هذه الأرواح الكبيرة غير الأرواح الصغيرة الضعيفة ، التي لا تزال تكافح ضد الجسد.
والتي إن تابت بضعة أيام ، تعود مرة أخرى إلى خطاياها وإلى عاداتها المسيطرة في
ضعف أو في عجز .

الأرواح الكبيرة هي أيضاً كبيرة في معرفتها ، لها روح الحكمة والإفراز .
وهي الله الفهم والإدراك ، وأصبحت لها قدرة على إرشاد الآخرين وقيادتهم . وهذه
الحكمة التي يسلكون بها ليست عملاً بشرياً ، إنما هي من مواهب الروح (١كو ١٢) .
وفي تنفيذ وصايا الله ، تسلك هذه الأرواح بالروح لا بالحرف (٢كو ٣ : ٦) .

الروح .. وليس الحرف

يركز القديس بولس الرسول على عبارتين : السلوك حسب الروح، والإهتمام بالروح (رو ٨: ١، ٦) .

ولاشك أن المهتمين بالروح، يهتمون في سلوكهم بروح الوصية، وليس بحرفيتها. وذلك لأن "الحرف يقتل، ولكن الروح يحيى" (٢كو ٣: ٦) . وهكذا يقول الرسول في نفس الآية : "جعلنا خدام عهد جديد: لا الحرف، بل الروح" .
الذى يسلك بالحرف، هو إنسان فريسي أو ناموسي ..
مثل اليهود في موقفهم في وصية حفظ السبت !

الفريسيون كانوا يتمسكون بالحرف ، كما فعلوا مع الرب في وصية السبت مثلاً. حتى أنه حينما منح البصر للمولود أعمى، وكان ذلك في يوم السبت ، قالوا "هذا الإنسان ليس من الله، لأنه لا يحفظ السبت" (يو ٩: ١٦) . وقالوا للمولود أعمى "أعطي مجداً لله. نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطئ" (يو ٩: ٢٤) .

ولما شفى السيد مريض بيت حسدا ، بعد مرضه ٣٨ عاماً، يقول الكتاب إن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه ، لأنه فعل ذلك في يوم السبت" (يو ٥: ١٦) .

إنه الحرف الذي يقتل ، لأنه يدل على عدم فهم لروحانية الوصية .

كيف يسلك الإنسان بالروح إذن ؟

هنا ونود أن نتأمل السلوك في بعض الفضائل :

١ - الصوم مثلاً ، وكيف يكون بالروح ؟

الصوم

كثيرون يصومون ، ويظنون أن الصوم هو فقط الطعام النباتي . ويحاولون أن يجهزوا لأنفسهم أطعمة نباتية شهية جداً في أكلها، ومغذية جداً فيما يضيفونه عليها من ألوان

الطعام النادرة والغالية الثمن ..!! ويتساملون عن السمن النباتي ، والجبنة النباتي ، واللبن النباتي ، والشكيولاته النباتي. وينسون قول دانيال النبي عن صومه :
"كنت نائماً ثلاثة أسابيع أيام . لم أكل طعاماً شهياً ، ولم يدخل فمي لحم ولا خمر . ولم أذهن" (دا : ١٠١ : ٢ ، ٣) ..

وأحب أن أركز هنا على عبارة "لم أكل طعاماً شهياً" .. لأنه حيث يأكل الإنسان أطعمة شهية أثناء صومه ، كيف يمكنه أن يسيطر على رغبات الجسد ، وهو يعطيه ما يشتهي من الطعام ؟

كيف تشترك الروح إذن مع الجسد في الصوم ؟

حتى لا يكون صومنا مجرد صوم جسدي ، بطريقة حرفية بعيدة عن الروح! أما الصوم الروحي ، ففيه تكون الروح زاهدة ، ومرتفعة عن مستوى المادة ، وعن مستوى طعام الجسد . كذلك أثناء الصوم نعطي الروح طعامها الروحي. ونعطيها الفرصة أن تسيطر على الجسد [يمكن للتفاصيل ، أن نقرأ كتابنا : روحانية الصوم] .
ننتقل إلى نقطة أخرى وهي المطانيات .

المطانيات

المطانيات هي السجود . فما المقصود بهذا السجود .
ليس السجود هو مجرد إحناء الجسد . إنما أيضاً : إحناء الروح مع الجسد .
لذلك يقول المرتل في المزمور "أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل إلى بيتك ، وأسجد قدام هيكل قدسك بمخافتك" ..
وعبارة "مخافتك" تدل على خشوع الروح أثناء السجود . وعبارة "بكثرة رحمتك أدخل إلى بيتك" تعني الشعور بعدم الإستحقاق . وهكذا يصيح الشماس أثناء القداس .
"أسجدوا لله بخوف ورعدة .." .
هنا المشاعر الروحية تصحب حركة الجسد .
أحياناً تعتذر لإنسان وتضرب له مطانية ، فلا يقبلها منك . إذ يشعر أنها عمل جسدي لا روح فيه .
وقد تقول بعد ذلك : ماذا أفعل له أكثر من هذا ؟ لقد ضربت له مطانية ، وانحنيت برأسي إلى الأرض !!

يا أخى ، المهم أن تتحنى روحك .. لا تترك بحرفية المطانية دون روحها . ولذلك
نسمع داود النبي يقول :

"لصقت بالتراب نفسى" (مز ١١٩ : ٢٥) .

ولم يقل "لصقت بالتراب رأسى" ...

الصلاة

الصلاة حرفياً هي الحديث مع الله .

وهي روحياً : اتصال روح الإنسان بروح الله .

وقد يصلى إنسان ، أو يظن أنه يصلى ، بينما لا توجد هذه الصلة بينه وبين الله !!

لذلك وبخ الله اليهود بقوله "هذا الشعب يكرمنى بشفتيه . أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً"

(أش ٣٩ : ١٣) (مت ١٥ : ٨) . إنها صلاة غير مقبولة ، لأن الله يريد القلب ...

أتظن أنك تصلى ، لأنك تحرك شفوتك أمام الله ؟!

وقد يكون ذلك بلا فهم ، وبلا روح ، وبلا مشاعر : بلا حب ، بلا خشوع ، بلا إتضاع .. !!

أتريد أن ترضى ضميرك من جهة الصلاة ؟! حتى لو كانت هكذا !! أم تصلى بروحك ،

وتصلى بذهنك ، تقصد كل كلمة تقولها فى صلاتك ...

صدق ماراسحق عندما قال عن مثل هذه الصلاة :

قل لنفسك : أنا ما وقفت أمام الله لكى أعذ ألساناً .

ذلك لأن كثيرين يهمهم أن يطيلوا الصلاة بغير فهم ، أو أنهم يتلون عدداً كبيراً من

المزامير ، بسرعة لا تأمل فيها ، ولا يتابعون معنى الألفاظ أثناء صلاتهم !!

والمزامير كلها روحانية ، لكنهم يقتصرون على الحرف .

وبالمثل من يرددون كلمات التسبحة فى الأبصلمودية بسرعة عجيبة ، لا يتابعون فيها

المعنى .. وكذلك بالنسبة إلى كثير من الأبحان .. المهم أمامهم هو الحرف وليس الروح .

والشعور بأن الإنسان أدى (قانونه) فى الصلاة ، واستراح ضميره بذلك ، بينما لم تصعد

هذه الصلاة إلى الله ، لأنه لم تكن هناك صلة ، ولم تشترك الروح فيها ولا القلب .. ما

أجمل قول القديس بولس الرسول :

"أصلى بالروح ، وأصلى بالذهن أيضاً" (١كو ٤ : ١٥) .

"أرتل بالروح ، وارتل بالذهن أيضاً" .

القبلة

نسمع فى القداس عبارة "قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة" . والقبلة هى تعبير عميق عن الحب . وعبارة "مقدسة" تعنى أنها تكون طاهرة وبغير رياء ...
ويسلم كل منا على من يجاوره ، رمزاً إلى سلامه مع الناس جميعاً .. فهل نقتصر على هذا الشكل أو هذا الحرف ؟! بينما لا يكون سلام فى قلوبنا مع الناس !!
يهودا الأسخريوطى قبل السيد المسيح .

بالحرف لا بالروح ، والحرف يقتل .. مظهر خارجى يدل على المحبة ، تختفى وراءه خيانة .. لذلك تحرم الكنيسة التقبيل من أربعاء البصخة ، احتجاجاً على قبلة يهودا الخائنة.
وأنت كلما تقابل أناساً تبدأ بالسلام .

أهى حرفية كلمة سلام ؟ أم هو سلام حقيقى بالمعنى الروحى ؟ .. ما أكثر ما نقول من كلام ، ومن تحيات ، ومن مجاملات ، بمجرد الحرف ، وبلا روح .
أتمتع عن المجاملات إنن ؟ كلا ...

بل ندخل إليها الروح والحق ، فتدل على الحب وعلى التعاطف على حسن التعامل ، وتقدير الناس .. نفعل هذا من كل قلوبنا . ويظهر هذا فى ملامح وجوهنا ، وفى نظرات عيوننا . ليس بالحرف بل بالروح .

العطاء

بالروح هو تعبير عن الحب ، وعن المشاركة القلبية فى احتياجات الناس واحتياجات الكنيسة .

ولكن البعض يأخذونه بالحرف : مجرد العطاء!! فيقدمونه ولو إضطراراً ، بلا حب !
وينسون قول الكتاب " المعطى المسرور يحبه الرب" (٢كو٩: ٧) .. العطاء يبدأ من القلب ، وليس بمجرد اليد . والمعطى روحياً هو الذى يفرح حينما يعطى ، لأنه يشعر أنه اشترك فى إسعاد إنسان ، أو أخذ بركة المساهمة فى احتياجات الكنيسة .

غير أن البعض يحاسبون الله حساباً عسيراً !!
يقتصرون على العشور ، إن دفعوها !! ويدققون فى حساباتهم جداً ، حتى لا يزيد العطاء عن العشور .. وقد يدخلون فيها بعض واجباتهم الإجتماعية اللازمة نحو الأقرباء

والمعارف، وما اضطروا لدفعه في مناسبات معينة لبعض المشروعات ولشئون الخدمة .
ويظهر أن القلب غير مشترك في العطاء .. الروح لم تشترك!
بالروح ، لا نتعالى على الفقراء الذين نعطيهم . بل نرى أنهم يأخذون من الله وليس
منا . هو الذى أعطانا ما نعطيهم لهم .
إن العطاء الذى يتم بالإضطرار، أو بغير حب ، هو عطاء لم تشترك فيه الروح .

الخدمة

أحياناً نأخذ من الخدمة حرفيتها أو شكليتها . ونظن أننا نساهم في عمل الكنيسة . دون
أن ندخل إلى روح الخدمة . بل حتى من جهة الحرف ننسى المعنى الحرفى لكلمة خادم .
وننسى الإلتزام اللازم للخدمة .

العقل يعمل في الخدمة بما فيه من معرفة ، وكذلك الجسد بنشاطه ، بينما الروح لم
تشترك في الخدمة ! وتصبح الخدمة مجالاً لإظهار الذات ، ويختلط بها حب السيطرة
والنفوذ والتنافس بين الخدام، الأمر الذى لا يتفق مطلقاً مع كلمة (خادم) . وكأننا في
الخدمة نركز حول ذواتنا، وليس حول ملكوت المسيح الذى قال عنه يوحنا :
"ينبغي أن هذا يزيد وأنى أنا أنقص " (يو ٣ : ٣٠) .

وتصبح الخدمة مجرد معلومات يلقيها خادم مدارس الأحد، أو مجرد أعمال إدارية
ومالية يقوم بها مجلس الكنيسة ولجانه . أو مجرد أنشطة تقوم بها الهيئات العاملة في
الكنيسة .. وفى كل هذا ننسى روح الخدمة . ولا تشترك أرواحنا في الخدمة !!

السبت

إنه يوم الرب (حالياً الأحد) . حفظه حسب الحرف هو أنك "لا تعمل فيه عملاً"
(خر ٢٠ : ١٠) .

أما بالروح فهو أنه سبت للرب، أى راحة للرب. يستريح فيه الرب معك. ويستريح
أولاده أيضاً .

إنه يوم للرب . فإن قمت فيه بعمل الخير، تكون قد عملت ما يريح الرب، وما يريح
الناس ... ويصبح هذا اليوم (سبتاً) أى راحة ..

وهكذا علم السيد المسيح أنه يحل فعل الخير في السبوت . لأن فعل الخير فيه راحة للناس . وهذه هي روح الوصية .
أما عدم العمل على الإطلاق ، ففيه راحة الجسد ، ولكن ليست فيه راحة لروحك ، ولا راحة للناس الذين لم تخدمهم بامتناعك الكامل عن العمل !

الطقوس

هل أنت تدرى روحانية كل طقس في الكنيسة ؟

وهل تشترك فيه بروحك ؟

الكاهن مثلاً يحمل الإنجيل فوق رأسه ويدور به حول المنبج . فهل تدرى أن هذه الدورة إشارة إلى إنتشار الإنجيل في المسكونة كلها ؟ وهل تصلى من أجل هذا؟
والشماس يمسك الشمعة أثناء قراءة الإنجيل، إشارة إلى قول المرتل "سراج لرجلي كلامك، ونور لسبيلي" (مز ١١٩). فهل تقبل كلمات الإنجيل لتستتير بها في ذهنك وقلبك وضميرك؟ ورئيس الكهنة يرفع تاجه من فوق رأسه خشوعاً وإحتراماً لكلمة الإنجيل . فهل تكون أنت في نفس الخشوع . هل روحك تشترك في نفس الطقس ؟
وهل روحك تشترك مع الطقوس الخاصة بكل تحركات الأب الكاهن في الكنيسة وكل عمله ؟

إن فعلت هذا، تشترك روحك في صلوات القديس الإلهي، وفي كل صلوات الليتورجيات ولا تقتصر فقط على شركة الحواس .. لأن الروح هو الذي يحيى (٢كو٣: ٦) .
ونفس الوضع بالنسبة إلى الأعياد .

هل أنت تفرح فيها ، لأن مجرد الصوم قد انتهى ؟ أم تدخل إلى روحانية العيد ؟
فتفرح مثلاً بميلاد المسيح، لأنه بدء قصة الخلاص ، بما فيه من إتضاع وحب، وتفرح بقيامته ، بما في ذلك الإنتصار على الموت ، وبأكورة القيامة، وفتح أبواب الفردوس ..
ويدخل كل هذا إلى قلبك ومشاعرك ...

العقيدة

هل تأخذها - حسب الحرف - كمجرد لاهوتيات ، وأمور عقلية تكون موضع جدل

مع الطوائف الأخرى ؟

فى المعمودية مثلاً ، هل تدخل روحك فى عبارة "مدفونين معه فى المعمودية" (كو ٢: ١٢) وأيضاً فى مفهومها أنها موت مع المسيح وقيامته معه (رو ٦: ٤ ، ٨) .
وتدرك أنه فى هذا الدفن قد صلب الإنسان العتيق ، وقام إنسان جديد فى حياة جديدة (رو ٦: ٤ ، ٦) .

ثم تسأل نفسك : هل لا يزال "الإنسان العتيق" موجوداً فى حياتك؟ وأيضاً ما هى الحياة الجديدة التى نلتها فى المعمودية؟ وهل أنت فى المعمودية قد "لبست المسيح" حسب قول الرسول (غل ٣: ٢٧) . أى لبست ما فيه من بر، ولبست الصورة الإلهية التى جاء بها ...
وهنا تدخل إلى روح المعمودية . وهكذا مع باقى العقائد .

الولادة من الله: هل هى حسب الحرف مجرد عقيدة تجادل فيها متى ينالها المسيحى؟
أم تدخل إلى روحها، وتتذكر قول الرسول "كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية..
ولا يستطيع أن يخطئ ، لأنه مولود من الله" (يو ٣: ٩) .

"وأيضاً المولود من الله يحفظ نفسه ، والشريير لا يمسه" (يو ٥: ١٨) . وهكذا كلما
تقول "أبانا الذى فى السموات" ، تشعر بوخز فى ضميرك، وتقول للرب "لست مستحقاً أن
أدعى لك ايناً" (لو ١٥: ١٩) ذلك لأننى أخطئ ، ولم أحفظ نفسى ...
وهل فى كل اسرار الكنيسة ، تدرك بروحك النعمة المخفاة فى كل سر، وتعيش
روحك فى هذه النعمة ؟

الرموز

هناك عبارات معينة فى الكتاب المقدس : إن أخذتها حسب الحرف، تطبق عبارة
"الحرف يقتل" (كو ٣: ٦) . ولكنك بالروح تفهم معناها ، وتدرك ما فيها من رموز .
سفر نشيد الأناشيد مثلاً ، أتستطيع أن تدرك ما فيه بحرفية الألفاظ ، أم بالمعنى
الروحي الرمزي ؟!

كذلك كثير من الألفاظ التى وردت فى الكتاب مثل كلمات سيف ، ونار وخمير ..
وغير ذلك مما ذكرناه فى مقالاتنا عن "مصطلحات الكتاب المقدس" ...

إن كلام الله هو روح وحياة (يو ٦: ٦٣) .

تفهمه بروحك ، وتحوله إلى حياة ...

الفصل العاشر

الديرة

الإرادة

كيف تقوى؟ وكيف تضعف؟

كثيراً ما يرغب الإنسان في أن يسلك حسناً، ولكنه لا يستطيع . أو يعرف أن هذا الأمر خطأ، ويريد أن يبتعد عنه، ولكنه لا يقدر. إرادته ضعيفة !

مثل إنسان واقع تحت عادة رديئة ، ولا يستطيع أن يتخلص منها . يعرف مثلاً أن التدخين يتعب صحته، ويضيع ماله ، ويفقده إرادته، وتبقى رائحته في فمه وأسنانه . ومع ذلك لا يقدر أن يبطل التدخين . إنه يريد، ولكن لا يستطيع . وقد شرح القديس بولس الرسول هذا الأمر في (رو ٧) فقال بلسان حال إنسان يفعل أموراً لا يريدتها :

لست أفعل ما أريده . بل ما أبغضه إياه أفعل ! .. فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا، بل الخطية الساكنة في . فإني أعلم أنه ليس ساكناً في ، أي في جسدي شيء صالح . لأن الإرادة حاضرة عندي، وأما أن أفعل الحسنی فلست أجد . لأنني لست أفعل الصالح الذي أريده، بل الشر الذي لست أريده إياه أفعل . فإن كنت ما لست أريده إياه أفعل، فلست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة في .. ويحي أنا الإنسان الشقي . من ينقذني من جسد هذا الموت! (رو ٧: ١٥ - ٢٤) .

إنها حالة إنسان عاجز عن مقاومة الخطية ، وعاجز أيضاً عن فعل الخير . إرادته ضعيفة في الحالين .

أسباب ضعف الإرادة

نريد هنا أن نبحث : ما السبب في ضعف الإرادة؟ وكيف نقدر أن نقوى هذه الإرادة الضعيفة .

لاشك أن الميل إلى الخير هو الأصل في الإنسان الذي خلق على صورة الله كشبهه ومثاله (تك: ١: ٢٦، ٢٧) . إذن الميل إلى الشر، هو شئ دخيل عليه، لابد لنا أن نبحث عن أسبابه

بإمكان الإنسان - وبخاصة في نعم العهد الجديد - أن يسير في طريق الرب. فما الذي يدفعه إلى طريق الخطية ؟ وما الذي يضعف إرادته أمامها؟

نرجع إلى التاريخ فنجد أن أمانا حواء ، عندما خلقها الله، لم تكن فيها خطية . ولكنها أخطأت حينما اشتتت أن تصير مثل الله، حسب إغراء الشيطان لها (تك: ٣: ٥) . وبهذه الشهوة ضعفت إرادتها ، فلم تستطع أن تقاوم إغراء الشجرة المحرمة ، بل على العكس "رأت أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت " (تك: ٣: ٦) .

١ - إن أول شئ يضعف الإرادة هو الشهوة :

أية شهوة : سواء شهوة الجسد ، أو شهوة المال والقتية ، أو شهوة المناصب وتعظيم المعيشة، أو شهوة الإنتقام. كلها شهوات تتسبب في ضعف الإرادة . فحينما تدخل الشهوة إلى القلب، تضعف الإرادة عن مقاومتها . وكلما زادت الشهوة ، فإنها تضغط على الإرادة بشدة ، حتى تنهار الإرادة تماماً . وحينئذ يتم قول الرسول "الشر الذي لست أريده، إياه أفعل" ...

لذلك فمن عوامل تقوية الإرادة ، معالجة شهوات الإنسان، وطردها من القلب .

٢ - ومما يضعف الإرادة ويقوى الشهوة ، القرب من مادة الخطية .

أى القرب من مسبباتها .. وكما قال أحد الآباء "وأنت بعيد عن مادة الخطية، قد تأتيك المحاربة من الداخل فقط . أما إن صرت قريباً من مادة الخطية، فحينئذ تقوم عليك حربان: إحداهما من الداخل، والأخرى من الخارج ، ويتعاونان على إسقاطك، إذ تضعف بينهما... لذلك على الإنسان الحكيم أن يبعد عن العثرات ، وعن مادة الخطية وأسبابها، لكي لا تضعف إرادته أمام مغريات الخطية .

البعد عن مادة الخطية يشمل البعد عن كل المعاشرات الرديئة التي تتعبك، والتي تدخل فكر الخطية إلى عقلك وإلى قلبك ، فيضغط الفكر عليك، فتضعف إرادتك أمامه. وهكذا قال الكتاب "المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة" (١كو: ١٥: ٣٣) . ومن هذه المعاشرات المعثرة، حذرنا المرتل في المزمور الأول، فقال: "طوبى للرجل الذي لا يسلك

في مشورة الأشرار ، وفي طريق الخطاة لا يقف ، وفي مجلس المستهزئين لا يجلس " (مز ١ : ١) . لأنك إن عشت في هذا الجو الردي ، سوف تضعف إرادتك .

٣ - ومما يضعف الإرادة بالأكثر ، طول المدة في جو الخطية .

عنصر السرعة أمر هام ، سواء السرعة في ترك الخطية ، لأن هذه السرعة تقوى إرادتك . كذلك السرعة في عمل الخير ، لأن هذا يقوى إرادتك إيجابياً ...

لذلك إن حاربتك الخطية ، فقاومتها للتو ، ولم تستبق فكرها عندك ، تجد إرادتك قد قويت ، وأصبحت قادرة على طرد الخطية .

أما إن تركتها ترعى في قلبك ، وتدغدغ حواسك ، وتلعب بعواطفك ، وتغري نفسك ، وتقع عقلك .. فإنها بطول المدة تقوى عليك . فتضعف إرادتك عن مقاومتها . وإن انتصرت ، يكون ذلك بمجهود كبير تبذله ، وتتدخل النعمة لإتقاذك ..

فرق كبير بين أن تنزع الخطية وهي عشب في الأرض ، أو أن تحاول نزعها بعد أن تتأصل جذورها في الأرض ، ويرتفع جذعها عالياً في الهواء ، وتنتشر فروعها هنا وهناك . لذلك حسناً قال المزمور عن الخطية " طوبى لمن يمسك أطفالك ، ويدفنهم عند الصخرة " (مز ١٣٧ : ٩) . " والصخرة كانت المسيح " (١كو ١٠ : ٤) .

إن أذاك فكر خاطئ ، وطردته بسرعة ، حينئذ تقوى إرادتك .

أما إن فتحت لهذا الفكر أبواب ذهنك ، وتباطأت في طرده ، وأخذت معه وأعطيت ، واستمر الفكر في ذهنك فترة ، حينئذ تضعف إرادتك أمامه . فإما أن تخضع له ، أو إن طردته بعد حين ، يكون ذلك بصعوبة بالغة ، وما أسهل أن يعود إليك مرة أخرى ، مستغلاً تساهلك أمامه !..

السرعة إنن لازمة لتقوية الإرادة ، سواء في طرد الخطية ، أو تنفيذ الوصية .

يوسف الصديق : لما ضغطت عليه الخطية ، هرب بسرعة ، ولو تمزقت ثيابه . ولو

كان قد انتظر بعض الوقت ، وتباطأ في الهروب ، ما كان يدري ما سيحدث له !!

ولما تباطأ لوط في الخروج من أرض سادوم ، دفعه الملاكين دفعا ، وأخرجاه منها ،

وقالا له : اهرب لحياتك . لا تقف في كل الدائرة ، لنلا تهلك (تك ١٩ : ١٦ ، ١٧) .

إن طول المدة ، والإستمرار في جو الخطية ، والتردد ، كل ذلك يضعف الإرادة .

أما الإنسان القوي الإرادة ، فإنه يسرع في عمل الخير ، لا يؤجل .

لا ينتظر ، لنلا يغريه الشيطان . بإعادة التفكير ، وربما يحاول تغيير فكره ! فالشيطان

لكي يبعد الإنسان عن فعل الخير ، لا يقول له لا تفعل . بل يقول له : انتظر . فكر . فلنناقش الأمر معاً . مجرد دقائق ، وأعطيك المشورة الصالحة! وبهذا الأمر يكون قد ضيعك ... إن طول المدة من جهة التباطؤ في عمل الخير ، يفتح المجال لحرب مضادة ، ما أسهل ان تضعف فيها الإرادة .

لنأخذ مثلاً : الابن الضال ، حينما أتاه فكر التوبة :

بعد أن أدرك سوء حالته ، قال : "أقوم الآن وأذهب إلى أبي ، وأقول له : أخطأت إلى السموات وقدامك ، ولست مستحقاً أن أدعى لك ابناً ، اجعلني كأحد أجرائك" . ولم ينتظر ، بل يقول الكتاب "فقام وذهب إلى أبيه" (لو ١٥ : ١٧ - ٢٠) . من يدري ، لو كان قد تباطأ في التنفيذ ، ماذا كان سيحدث لإرادته .

وابراهيم أبو الآباء ، حينما أمره الله أن يقدم ابنه محرقة :

لم يتباطأ أبداً ، بل "بكر ابراهيم صباحاً جداً" "وأخذ اسحق ابنه ، وأخذ الحطب والسكين" (تك ٢٢ : ٣) . بكل قوة وإرادة ، بدأ في تنفيذ أمر الرب ، لم يتباطأ إطلاقاً . وربما لو انتظر ، أو أخذ يراجع فكره ، ما كنا ندرى أية حروب تنور عليه! وإن لم تضعف إرادته ، كانت ستضعف إرادة سارة أم الصبي .. ويجد أن مشاكل كثيرة قد أحاطت به ، تحاول أن تضعف إرادته .

حينما تحرك النعمة إرادتك للخير ، لا تنتظر لتفكر أو تناقش الأمر . بل نفذ . وإلا انتهز الشيطان فرصة تردك ، ويشارك معك في التفكير ، ويضعف إرادتك .
وإذا بالرغبة الطيبة التي كانت عندك تفتر وقد تزول .. إنما تنفيذ عمل الخير دون تردد ، يدل على قوة الإرادة ، ويؤدي أيضاً إلى تقوية الإرادة .

*وسأضرب لك بعض أمثلة : لنفرض أنك في سماعك لعظة ، أو قراءتك لكتاب روحى ، أو سماعك لنصيحة من أب اعترافك ، أنك فكر أن تصالح شخصاً أنت متخاصم معه .. لا تنتظر قم حالاً ، واذهب إليه لتصالحه . أما لو أنك انتظرت ، ربما تتغير نيتك . ويأتيك فكر : ولماذا أذهب أنا لأصالحه؟ من الأفضل أن أنتظر إلى أن يأتي هو ليصالحني . أنا موافق على مبدأ المصالحة . ولكن إن ذهبت أنا إليه لأصالحه ، ربما يظن هذا ضعفاً مني ، أو اعترافاً مني بالخطأ . إذن حرصاً على كرامتي ، ننتظر إلى أن يدخل وسيط بيننا ، فهذا أفضل . وهنا تكون الإرادة قد ضعفت من جهة المبادرة للمصالحة . وقد ينتهى الأمر إلى عدم المصالحة ، وقد فقدت إرادتك بسبب التردد والمناقشة !

★ في دفع العشور مثلاً . قد تبدأ بإرادة قوية لدفعها . فإن نفذت بسرعة، حينما تستلم مرتبك، تدفع عشوره مباشرة كما تدفع إيجار مسكنك ، أو تحجز العشور في صندوق خاص هو صندوق الرب إلى أن تسلمه لأصحابه .

أما إن أجلت الموضوع، فإنك تفتح أمامك باباً لحروب تضعف إرادتك في دفع العشور، إذ تبدأ أن تفكر وتتفاوض مع الموضوع ، وتبحث احتياجاتك المالية في هذا الشهر ، وربما تقول : لنا عذر في تأجيل العشور ، أو أننا ندفعها فيما بعد ولو بتقسيتها على شهور . أو ننتظر إلى حين أن تصلنا علاوة في الشهر الفلاني وحينئذ ندفع .. وهكذا تضعف إرادتك ولا تدفع .

★ نفس الوضع بالنسبة إلى مقاومة الخطية . لما حسد قايين هابيل أخاه، وفكر في قتله، قال له الرب يحذره "عند الباب خطية رابضة، وإليك اشتياقها ، وأنت تسود عليها" (تك: ٤) : (٧) .. عبارة "وأنت تسود عليها" معناها أن إرادته في ذلك الوقت كانت تقوى على مقاومتها . فلما لم يطردها من ذهنه ومن قلبه ، وتباطأ في ذلك، أصبحت هي التي تسود عليه .. أي تسود على إرادته ، فقام على أخيه وقتله ...

اعرف أنك أجهزة حساسة تتأثر بسرعة : سواء عقلك، أو حواسك، أو قلبك أو مشاعرك .. فلا تترك كل هذه للحرب الروحية فترة طويلة، وإلا ضعفت إرادتك !

٤ - مما يضعف الإرادة أيضاً : التدرج في جو الخطية .

إن النزول السريع ملحوظ . ولكن التدرج البطيء في النزول قد لا تلاحظه . ربما لا تدرك مثلاً أنك تنزل عشرات الأمتار في سفرك من وادي النطرون حيث الأديرة إلى القاهرة ... أو إلى الإسكندرية حينما تصل إلى البحيرة المألحة!

كذلك في الحياة الروحية ، قد تنزل تدريجياً نزولاً من الحرارة إلى الفتور إلى البرودة فالسقوط، حيث تنهار إرادتك ، وأنت لم تلاحظ كيف ضعفت بالتدرج !

احترس إذن لنفسك .. إن وجدت أن خطايا معينة ترفضها تلقائياً وبسرعة، اعرف إن إرادتك لا تزال قوية .

ولكن إن وجدت أنك ترفض ، ولكن بعد أن تفكر بعض الشيء أو بعد تردد، اعرف أنك قد بعدت عن قوتك الأولى وأخذت إرادتك تضعف، إذ لم يعد لها الصد المباشر للخطية . وإن وجدت أنك تسير مع فكر الخطية بضعة خطوات ثم تستيقظ لنفسك . وتمتدح عن الإستمرار .. اعرف أن إرادتك بدأت في الضعف ، ولكن لم تستمر . سقطت ولم تكمل

أما إن سقطت ولم تعرف كيف تقوم ، أو لا تريد أن تقوم، فاعرف أن إرادتك قد أنهارت واصابها العجز . وتحتاج إلى علاج قوى وسريع .

إن الخطية قد لا تحاربك دفعة واحدة . وبوجه مكشوف ، لكى لا ترفضها إرادتك . بل تخدع هذه الإرادة بالتدرج .

تتدرج معك تدرجاً طويلاً ، ربما لا تشعر به ، وفى كل ذلك تضعف إرادتك بقبول هذا التدرج .. إلى أن توقعك فى الهوة .. وربما تكون الخطوة الأولى التى تقودك إلى الخطية، ليست خطية فى ذاتها ، بل هى خطوة مخادعة مستترة . ولكن بتدرجها تخدع إرادتك لتقبلها فتفقد هيبتك الأولى ، وتسلب قوة الإرادة بالتدريج حتى تستسلم .

إن مما يضعف إرادتنا أننا لم نكن حازمين ولا حاسمين من أول خطوة .

وبسبب التهاون والتراخى تفقد الإرادة قوتها ، وتقف موقف الضعف . إن محاربة الخطية تحتاج إلى موقف حاسم من الإرادة ، لكى تصدها من بادئ الأمر . فالتراخى والتكاسل والتباطؤ يودى إلى إضعاف الإرادة ...

إن شمشون الجبار ، بالتدرج وطول المدة ، ضعفت إرادته أمام إلحاح دليلة .. هذا الإلحاح الذى لم يطرده شمشون عنه من أول الأمر .. وبالوقت إنهارت إرادته فكشف سره، وسقط سقوطاً عظيماً (قض ١٦) .

كيف تقوى الإرادة؟

هناك عوامل كثيرة تقويها ، نذكر من بينها :

١ - وسائط النعمة :

وسائط النعمة تقوى العلاقة مع الله ، وتحفظ الفكر معه . وبهذا تقوى الإرادة ، وتستحي من الإستسلام للخطية .

لذلك إن أردت أن تقوى إرادتك ، اجعل وسائط النعمة معك باستمرار . فطالما أنت مواظب على التأمل فى الإنجيل، وعلى الصلاة والمزامير والأجبية، وعلى السراتيل والتسابيح والإجتماعات الروحية ، والإعتراف والتناول ، تجد نفسك محصوراً بمحبة الله، وإرادتك قوية لا تضعف أمام الخطية ، بل تكون لك مناعة ضدها .

ولكن إذا بعدت عن الوسائط الروحية ، تضيف روحياتك ، ويقل ميلك نحو الخير ،

وتصير إرادتك سريعة الإنجذاب نحو الخطية . وينتهز الشيطان الفرصة فيهاجمها، وليس حولها سلاح روحى يقوى عزيمتها فى مقاومتها ، إذ قد بعدت عن الهاتف الداخلى الذى يدعوها إلى الله ...

قد يقول إنسان : أنا سالك فى كل الوسائط الروحية ، وأصلى وأصوم، ومع ذلك فإن إرادتى ضعيفة أمام الخطية !! فكيف هذا ؟

أقول له : من الجائز أنك تمارس وسائط النعمة . ولكن ليس بطريقة روحية . فأنت تقرأ الكتاب كمجرد تأدية واجب بدون تأمل . وتصلى كروتين وبدون فهم . وتذهب إلى الإجتماعات فى الكنيسة ، كعادة بدون إستفادة!! ولكن إن كنت تمارس وسائط النعمة بطريقة روحية، فلاشك أنها ستقوى إرادتك .

أمانا فى ميزان الحياة كفتان : كفة الله ، وكفة العالم .

أحياناً نضع الكثير فى كفة العالم ، حتى تصير هى الأكثر ثقلاً . بينما كفة الله ليس فيها شئ ، فتصبح فى الموازين إلى فوق . فإن وجدت كفة العالم تنقل ، ضع أنت ما تستطيعه من وسائط النعمة فى كفة الله ، إلى أن تزيد عليها . وهكذا تقوى إرادتك فى عمل الخير . أنت إنسان مَيَّال مثل بندول الساعة ، تارة تتحرك يميناً وتارة شمالاً . وكلما تدفع نفسك نحو الله تجد إرادتك تقوى بالأكثر .

لذلك أجعل نفسك محاطاً بجو روحى باستمرار ، يقوى إرادتك .. وابتعد عن كل جو معثر يضعف الإرادة ...

سأضرب لكم مثلاً كيف أن الإنسان الذى هو فى جو روحى ، تكون إرادته قوية . فإن تحول إلى جو ردى ، تضعف إرادته .

بطرس الرسول ، وهو فى جو روحى مع المسيح والرسول ، كانت إرادته قوية، حتى أنه قال للرب : لو أنكرك الجميع ، لا أنكرك أنا. ولو اضطررت أن أموت معك، لا أنكرك. إني مستعد أن أمضى معك إلى السجن وإلى الموت (مت ٢٦ : ٣٣ ، ٣٥) (لوقا ٢٢ : ٣٣) .. ولكن بطرس نفسه ، وهو فى دار رئيس كهنة اليهود، أخذ يسب ويلعن ويقول لا أعرف الرجل (مت ٢٦ : ٧٤) . كانت إرادته قد ضعفت أو إنهارت فى ذلك الجو المعادى للمسيح !!

مثال آخر - غير بطرس - هو لوط النهار :

حينما كان فى عشرة أبينا ابراهيم القديس ، وإلى جوار المذبح ، كانت إرادته قوية .

فلما ذهب إلى سادوم ، حيث فقد واسطتين روحيتين هما ابراهيم والمنبح، حينئذ ضعفت إرادته وإرادة زوجته وإبنتيه . وقيل عنه هناك إنه كان "مغلوباً من سيرة الأردياء فى الدعارة. إذ كان البار - بالنظر والسمع وهو ساكن بينهم - يعذب يوماً فيوماً نفسه الباراة بالأفعال الآثمة" (بط ٢: ٧، ٨) .

ولأهمية الوسائط الروحية فى تقوية الإرادة :

يقول الكتاب عن الرجل البار إنه كشجرة مغروسة على مجارى المياه" (مز ١) ، أى متصلة بينابيع الغذاء الروحى باستمرار، لذلك تكون مثمرة تعطى ثمرها فى حينه، وورقها لا ينتثر .

تصوروا مثلاً إنساناً قد ارتبط قلبه بالصلاة والتأملات الروحية فى قراءة الكتاب. ثم هاجمه فكر ردى . هل من المعقول أن تضعف إرادته أمام هذا الفكر ؟ أم تكون على العكس محصنة ضده بتأملاتها الروحية ...

ليكن فكرك وقلبك متعلقين بالله ، فتصبح إرادتك قوية. أما إذا سرح فكرك فى أمور عالمية بعيداً عن وسائط النعمة، حينئذ تضعف إرادتك .

وأنت : ما هو الوسط الذى يحيط بك ؟ وهل هو يقوى إرادتك نحو الخير أم يضعفها؟ هل عوامل التسلية والترفيه التى حولك، تقوى إرادتك وتعطيك مقاومة للخطية أم عكس ذلك؟ هل أصدقاؤك ومعارفك وأصحابك الذين تقضى معهم وقتك، يشجعونك على الإلتصاق بالله، ويعملون على تقوية إرادتك روحياً ؟ ..

٢ - من الأمور التى تقوى الإرادة أيضاً : التغصب :

هل أنت باستمرار تدلل نفسك ، وتعطيها فى كل حين ما تهواه ؟ كما فعل سليمان قائلاً "ومهما اشتتهه عيناي ، لم أمنعه عنهما" (جا ٢: ١٠) .. إن كان الأمر كذلك ، فسوف تضعف إرادتك لأنها لا تجد ما يضبطها ، فتفقد هى سيطرتها على رغباتها ، وتفقد أنت سيطرتك على إرادتك. لذلك أغضب نفسك على عمل الخير، اغضبها على الإلتصاق بالله. وكلما كنت تغصب نفسك بكل حزم على الإتجاه الروحى ، حينئذ ستقوى إرادتك بلاشك .

ولعلك تسأل هنا : هل إذا غضبت نفسى ، أكون فى حالة روحية ؟

هل الصلاة بتغصب - مثلاً - هى صلاة روحية .

أقول لك إن محبة الله التى تدفعك إلى التغصب هى حالة روحية. كما أن التغصب هو الخطوة الأولى التى تقودك فى النهاية إلى الحياة الروحية التى لا تغصب فيها .. أنت

تغصب نفسك على القراءة الروحية ، ثم بلاشك ستجد لذة في هذه القراءة ، فتكملها بلا تغصب ، بل بكل رضى واشتياق . وهكذا أيضاً مع الصلاة وكل التداريب الروحية .
التغصب إذن هو مجرد نقطة البدء ، لكنه لا يستمر هكذا .

الطفل الصغير حينما يرسلونه لأول مرة إلى المدرسة ، يرفض ويبكى ، لأنه سيتترك حضن أبيه وأمه ، ومحبة أقربائه له ، ويترك الجو الذى تعود عليه ويذهب إلى جو غريب عليه... ولذلك فإنه يذهب إلى المدرسة بشئ من التغصب . ولكنه بعد قليل يجد لذة في المدرسة ، وما فيها من لعب وتسلية وأصدقاء جدد، وما فيها من دروس وتعليم .. فيشتاق إليها ، ويحث أمه أن تلبسه ملابس المدرسة ، ليسرع فى الذهاب إليها .

اغصب نفسك إذن على عمل الخير ، فهذا سيقودك إلى محبة الخير .
وسيقودك إلى عمل الخير تلقائياً وبدون تغصب . واغصب نفسك أيضاً على ترك الخطية . فبهذا ستقوى إرادتك . وبدون تغصب سترفض الخطية .

اغصب نفسك على التوبة ، فهذا هو الطريق الروحى ، الذى نصحننا به القديس بولس الرسول ، حينما وبخ العبرانيين قائلاً :

”لم تقاوموا بعد حتى الدم، مجاهدين ضد الخطية“ (عب ١٢ : ٤) .

عبارة (حتى الدم) تعنى أن تغصب نفسك على مقاومة الخطية، حتى لو أدى الأمر أن تستشهد فى سبيل ذلك . ومعنى ذلك أنك بكل حزم ترفض كل ما تعرضه عليك الخطية من مغريات ، ولا تستسلم لكل فكر ورغبة ، بل تضبط نفسك ، فتقوى إرادتك .

مثل شخص يدخل فى ريجيم للطعام مثلاً . فلا يأكل كل ما يشتهي ، ولا يكثر من طعام يحبه . ولو أتاه فكر أن يأكل من صنف حرّمه عليه الطبيب ، ولو يأكل قليلاً ، يرفض ذلك بحزم . ويقول لنفسه : القليل سيؤدى إلى الكثير . وهذا الصنف سيتطور إلى صنف ثانٍ وثالث ، فالحزم أفضل .

إن ضبط النفس إذن يؤدى إلى تقوية الإرادة . وإذا قويت الإرادة تؤدى إلى مزيد من ضبط النفس .

كما أن هذا التغصب ، فى ضبط النفس ، سيجعل الشيطان يتعب منك ويعرف أنك لست سهلاً ، فيهابك . وكلما تغصب نفسك ، تدرّك نعمة الله لتسندك وتعينك . لأنك بهذا التغصب تبرهن على محبتك لله وجهادك للسير فى طريقه . فيستجيب الله لجهادك ويجعل روحه القدوس يعمل فيك . وفى هذا التغصب أو هذا الجهاد ، تعينك أيضاً صلوات

القديسين الذين يصرخون إلى الله من أجلك ، قائلين : أعنه يارب . لا تتركه ...
عاند نفسك إذن . ولعل البعض يسألون هنا :

هل العناد خطية أم فضيلة ؟

أقول : إذا عاند الإنسان نفسه حينما تشاق إلى الخطية، يكون عناده فضيلة . أما إذا كان يعاند متشبهاً بفكر خاطئ أو عمل خطية، حينئذ يكون عناده صادراً عن كبرياء وتمسك بالخطأ ، فيكون خطية مزدوجة ...

٣ - من الأشياء التي تقوى الإرادة أيضاً : يقظة الضمير .

بحيث يكون ضميرك صاحياً باستمرار ، لا ينام ولا لحظة ...

ولكن يحدث في بعض الأحيان أن يكون الضمير صاحياً ، وبالعكس ذلك تكون الإرادة ضعيفة في عمل الخير ، أو مشتاقة إلى الخطية ، فتسكت الضمير .

حقاً ، إن الضمير يرشد إلى عمل الخير ، ولكن لا يرغم الإنسان على السير فيه .

٤ - تقوى الإرادة أيضاً : مخافة الله ، ومحبة الله .

بالمخافة تقوى الإرادة في البعد عن الخطية . وبمحبة الله تقوى الإرادة في عمل الخير

والبر . وكيف ذلك ؟

الإنسان الذي يخاف الله ، يخشى أن يعصاه . وخوفه من عمل الشر، وخوفه من عقوبة الله، وخوفه من الله الذي يراه، يجعل إرادته قوية جداً في الإمتناع عن الخطية .
وكما عُرِضت عليه يقول : "كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله ١٢" (تك ٣٩ : ٩) .

ومن الناحية الأخرى ، فإن الإنسان الذي يحب الله ، تلهب المحبة قلبه، وبالتالي تشتعل إرادته في عمل البر، وبالأكثر في رفض الخطية التي ما عادت تتفق مع طبيعته الجديدة في حياة القداسة .

٥ - لذلك لكي تقوى الإرادة ، لابد من قيم يتمسك بها الإنسان . ويلتزم بها .

لابد أن تكون له قيم معينة . لو قامت الدنيا وقعدت ، لا يمكنه أن يتنازل عن هذه القيم . كأنسان مثلاً يضع أمامه قيمة معينة، بأن لا يكون مطلقاً جباناً ولا خائناً . وفي تنفيذ هذا، تكون إرادته من حديد . مهما كانت الضغوط الخارجية، يظل شجاعاً ، ولا يخون وطنه ولا يخون كنيسته ، ولا يخون إنساناً إنتمنه على سرّ أو على وديعة ...

كذلك الشهداء : كان التمسك بالإيمان من القيم التي يحرصون عليها . لذلك كل ما

تعرضوا له من عذابات، لم يضعف إرادتهم ...

مثال آخر : إنسان من القيم التي أمامه أنه لا يسرق . فإن سرق، يحتقر نفسه، ولا بد أن يعيد المسروق إلى أصحابه . بل لا يجرؤ إطلاقاً على أن يحتفظ في بيته بمال حرام .. إن ركب الأتوبيس مثلاً، وانتشغل الكمسارى فلم يأخذ منه تذكرة، يسعى هو إليه ليشتري منه التذكرة. بينما شخص آخر بلا قيم: يقول ركبنا بدون تذكرة ، لأن الكمسارى صاحبنا!! نعم، قد يكون صاحبكم، ولكنه ليس صاحب الأتوبيس. وليس من حقه أن يجاملكم!

إن إرادتنا تضعف أحياناً ، لأن بعض القيم في حياتنا قد ضعفت .

أما إن بقيت القيم قوية في حياتنا ، وكان التزامنا بها قوياً ، فإن إرادتنا تكون قوية جداً. هناك قيم إجتماعية ودينية أيضاً : مثل احترام الكبار وإكرامهم ، كاحترام الأساتذة والمدرسين ، واحترام كبار السن. فلا يجرؤ إنسان مثلاً أن يهين والده أو استاذة ، أو يرد عليه بالمثل ، أو يجلس وهو واقف، أو يخدش شعوره بأية عبارة أو تصرف . وفي كل ذلك تكون إرادته قوية جداً في التمسك بهذه القيم ...

وبنفس المنطق هناك قيم أخرى ، مثل إحترام القانون ، واحترام النظام العام، واحترام الرؤساء .. طالما توجد هذه القيم، تكون الإرادة قوية في الإلتزام بها . فإن ضعفت إحدى هذه القيم ، تجد الإرادة منقادة إلى الثورة والإحتجاج والعصيان ...

إن الدين يقدم لنا قيماً معينة . تكون الإرادة قوية في تنفيذها .

مثال ذلك الصوم مثلاً . تجد الإرادة قوية أثناءه في الإمتناع عن الطعام . فهو وسيلة لتقوية الإرادة . والإرادة القوية وسيلة لممارسته .

من القيم أيضاً : عدم الدخور إلى هيكل الله بالحذاء . هنا لا يمكن أن تضعف الإرادة على كسر هذه القاعدة ، بل تلتزم بها بإرادة قوية ... أما في بلاد الغرب التي سقطت فيها هذه القيم ، فإن الإلتزام بهذه القواعد غير موجود ، وكسرها لا يتعب الضمير .

إن إرادة الإنسان إنن ، تتحكم في قوتها أو ضعفها أمور كثيرة.

تتحكم فيها الشهوة والرغبة ، وتتحكم فيها القيم والإلتزام بها . ويتحكم فيها ضبط النفس أو التسبب . وكذلك البعد عن وسائل النعمة أو ممارسة هذه الوصايا ، ويتحكم فيها الضمير ومدى يقظته أو نومه ... وكذلك الفكر ونوعية إنشغاله ...

ويتحكم في الإرادة أيضاً : مدى تدين الإنسان ، وقربه أو بعده عن الله ووصاياه ...

الفصل الحادي عشر

الحياة

ماهى الحياة؟ وكيف تكون؟

ماهى الحياة؟

ليست الحياة مجرد أنفاس تتردد، أو قلب ينبض .. لأن هذه هى مجرد الحياة المادية، التى قال عنها معلمنا يعقوب الرسول إنها "بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل" (يع: ٤ : ١٤) ، أو هذه التى قال عنها المرتل فى المزمور "الإنسان كالعشب أيامه . كزهر الحقل كذلك ينبل . لأن ريحاً تمر عليه فلا يكون ، ولا يعرفه موضعه بعد" (مز ١٠٣ : ١٥ ، ١٦) .
هذه الحياة الجسدية هى فترة غربة واختبار ، هدفها الحياة الحقيقية، التى توصلنا إلى الحياة الأبدية .

ما هى إذن الحياة الحقيقية ؟ وكيف نحصل عليها ؟

إن القديس يوحنا الحبيب فى أواخر إنجيله بعد أن سجل معجزات للسيد المسيح انفراداً هو بذكرها ، يقول " ..أما هذه فقد كُتبت لكى تؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحى . ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه " (يو : ٢٠ : ٣١) .

فما معنى عبارة "تكون لكم حياة" ؟

هذه العبارة التى وردت من قبل على لسان السيد المسيح نفسه ، حينما قال " ..أتيت لتكون لهم حياة، ويكون لهم أفضل" (يو : ١٠ : ١٠) . هؤلاء الذين تكلم الرب عنهم ، لهم حياة حسب الجسد . ولكن الرب ما كان يقصدها، إنما كان يقصد حياة من نوع آخر . ونفس المعنى هو ما كان يقصده رسوله يوحنا . فما هى هذه الحياة ؟

واضح أنه ليس كل إنسان يعيش على الأرض ، يمكنه أن يعتبر نفسه حياً . قال الرب لملاك كنيسة ساردس فى سفر الرؤيا "إن لك اسماً أنك حى، وأنت ميت" (رؤ : ٣ : ١) .

إذن فالخاطئ هو إنسان ميت ، مهما كانت له حياة جسدية .

وهكذا قال الأب عن الابن الضال الذى تاب ورجع "إبنى هذا كان ميتاً فعاش" (لو : ١٥ :

(٢٤) . أى كان ميتاً فى حالة الخطية ، وصارت له حياة فى توبته . وبنفس المعنى قال القديس بولس الرسول "كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا" (أف ٢ : ١) . وأيضاً "ونحن أموات بالخطايا ، أحيانا مع المسيح" (أف ٢ : ٥) .

لقد صارت لنا حياة بالخلص الذى قدمه لنا المسيح .

إنها الحياة الأبدية التى قال عنها الرب "لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. ولكن ما هى الحياة الحقيقية التى تكون لنا هنا على الأرض. يقول القديس بولس الرسول فى ذلك :

"لما الحياة هى المسيح" (فى ١ : ٢١) .

نعم إن المسيح هو الحياة . ألم يقل لمرثا أخت لعازر "أنا هو القيامة والحياة" (يو ١١ : ٢٥) . وقال لتلاميذه "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤ : ٦) . وقيل عنه فى أنجيل يوحنا "فيه كانت الحياة" (يو ١ : ٤) .

ومادام المسيح هو الحياة ، إذن من يثبت فيه يثبت فى الحياة، ويكون من الناحية الروحية كائناً حياً . وما أعمق ما قاله القديس بولس الرسول فى ذلك :

"لكى أحيأ لا أنا، بل المسيح يحيا فى" (غل ٢ : ٢٠) .

انتقل إلى معنى آخر للحياة ، وهو سكنى الروح القدس فىنا . بحيث تكون حياتنا تحت قيادة الروح القدس ، كما قيل "الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله" (رو ٨ : ١٤) . وقد عبّر السيد المسيح عن بعض عمل الروح القدس فىنا، فقال "لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم الذى يتكلم فىكم" (مت ١٠ : ٢٠) .

أما عن سكنى الروح القدس فىنا، فقد قال الرسول "أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فىكم" (١كو ٣ : ١٦) .

إن الحياة الحقيقية هى حياة الإنسان المؤمن الذى هو هيكل الله : المسيح يحيا فيه، والروح القدس يسكن فيه .

وعن علاقة هذا المؤمن بالآب ، يقول السيد المسيح "إن أحببى أحد، يحفظ كلامى، ويحببى أبى. وإليه نأتى ، وعنده تصنع منزلاً" (يو ١٤ : ٢٣) . أى أنه يصير منزلاً للآب والابن ، وهو هيكل للروح القدس . أى يصير مسكناً للثالوث القدوس . حقاً ما أعمق أن تكون الحياة مع الله هكذا ... !!

إن كانت لنا الحياة هى المسيح ، فماذا يحدث فىنا ولنا ؟ .

مادام المسيح يحيا فينا ، إذن ما نفعه ، يكون هو ما يفعله المسيح فينا . وهنا ينطبق قول الرسول "لا أنا، بل المسيح" .. وحينئذ لا نخطئ (ايو ٣: ٩) . بل نحيا الحياة الحقيقية. وتكون لنا فيما بعد : الحياة الأبدية ، حيث نستطيع أن نأكل من شجرة الحياة (رو ٢: ٧) . ويعطينا الرب إكليل الحياة (رو ٢: ١٠) .

كيف ننال الحياة؟

١ - هذه الحياة الحقيقية تبدأ بالإيمان في المعمودية .

حيث نموت مع المسيح ، لكي نقوم أيضاً معه . كما قال الرسول "مدفونين معه في المعمودية، التي فيها أقمتم أيضاً معه" (كو ٢: ١٢) (رو ٦: ٢-٥) . وفي المعمودية يُصَلَّب إنساننا العتيق معه ، ليبطل جسد الخطية (رو ٦: ٦) . وبموت إنساننا العتيق ، يقوم إنسان آخر جديد شبه المسيح . وفي هذا قال الرسول :

"لأن جميعكم الذين اعتمدتم للمسيح، قد لبستم المسيح" (غل ٣: ٢٧) .

لبستم البر الذي للمسيح ، في الإنسان الجديد الذي قام مع المسيح في المعمودية، ليسلك في جدة الحياة، أي في الحياة الجديدة . وفي المعمودية أيضاً لبستم الحياة في المسيح . وكيف ذلك؟ إن كانت الحياة هي التخلص من الموت، ففي موتكم مع المسيح في المعمودية، تتخلصون من حكم الموت الذي ضدكم، وتدخلون إلى الحياة .

٢ - وتنالون الحياة الحقيقية أيضاً ، بالتوبة .

وفي أهمية التوبة يقول السيد الرب "إن لم تتوبوا ، فجميعكم كذلك تهلكون" (لو ١٣: ٣ ، ٥) . والهلاك هو فقدان الحياة . وحسناً قال الكتاب إن "الله أعطى الأمم التوبة للحياة" (أع ١١: ١٨) . وقال "توبوا وارجعوا فتمحي خطاياكم" (أع ٣: ١٩) .

ومادامت أجرة الخطية هي الموت (رو ٦: ٢٣) ، تكون التوبة هي طريق الحياة . وفي التوبة يتخلص الإنسان من محبة العالم ، عالماً أن "محبة العالم هي عداوة لله" (يع ٤: ٤) . و"إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الأب" (ايو ٢: ١٥) . من أجل هذا، تضع الكنيسة في القراءات في كل قداس قول الرسول "لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم.. لأن العالم يبید وشهوته معه" (ايو ٢: ١٥ ، ١٧) .

٣ - إذن الحياة الحقيقية - تكون من الناحية السلبية - في ترك الخطية . أما من الناحية الإيجابية ، فتكون في السلوك بالروح .

وكما قال الرسول "لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح" (رو ٨: ١) . وقال أيضاً "لأن إهتمام الجسد هو موت، ولكن إهتمام الروح هو حياة وسلام" (رو ٨: ٦) . إذن فالحياة الحقيقية تكون فى الإهتمام بالروح ، بحيث نصل إلى هذه القاعدة :

جسد الإنسان ينقاد بواسطة روحه . وروحه تنقاد بروح الله .

هكذا تكون الحياة الحقيقية . وفى هذا يقول المرتل فى المزمور "من هو الإنسان الذى يهوى الحياة، ويحب أن يرى أياماً صالحة؟ اكف لسانك عن الشر ، وشفئك عن النطق بالغش . حد عن الشر وافعل الخير . اطلب السلامة واتبعها . فإن عينى الرب على الصديقين ، وأذنيه مصغيتان إلى طلبتهم" (مز ٣٤: ١٢ - ١٥) .

ويقول الرب فى أواخر سفر التثنية "أنظر قد جعلت أمامك الحياة والخير، والموت والشر.. فاختر الحياة لكى تحيا أنت ونسلك، إذ تحب الرب إلهك وتسمع لصوته وتلتصق به، لأنه هو حياتك" (تث ٣٠: ١٥ ، ١٩ ، ٢٠) . مادام الله هو حياتك ، فالبعد عنه هو البعد عن الحياة ...

إذن لكى تحيا يجب عليك الإهتمام بالروح ، والسلوك بالروح ، والبعد عن الخطية . لأن الإنسان الخاطى ، ليست له حياة روحية ، ولا حياة إلهية أى الشركة مع الله . ولن تكون له حياة أبدية .

٤ - نقطة أخرى فى الحصول على الحياة ، وهى تناول من سر الإفخارستيا :

هوذا السيد المسيح يقول : "أنا هو خبز الحياة" أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد . والخبز الذى أنا أعطى ، هو جسدى الذى أ بذله من أجل حياة العالم" . وقال أيضاً "الحق الحق أقول لكم: إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليست لكم حياة فيكم. من يأكل جسدى ويشرب دمي، فله حياة أبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير" "لأن جسدى مأكول حق، ودمى مشرب حق، من يأكل جسدى ويشرب دمي، يثبت فى وأنا فيه" "من يأكلنى يحيا بى" "من يأكل هذا الخبز، فإنه يحيا إلى الأبد" (يو ٦: ٤١ - ٥٨) .

فهل تتغذى روحياً بسر الإفخارستيا ، وهل تتناول منه باستحقاق ؟ متذكراً قول الرسول إن من يتناول بدون استحقاق "يكون مجرماً فى جسد الرب ودمه" وأنه يأكل ويشرب دينونة لنفسه" (١ كو ١١: ٢٧ ، ٢٩) .

٥ - نقطة أخرى في الحصول على الحياة ، هي الغذاء الروحي وبخاصة كلمة الله .
وقد قال الرب في ذلك "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم
الله" (مت ٤ : ٤) (تث ٨ : ٣) . وقال الرب أيضاً "اعملوا لا للطعام البائد، بل للطعام الباقي
للحياة الأبدية" (يو ٦ : ٢٧) . إذن فليعمل كل إنسان للحصول على هذا الطعام الروحي الذي
يؤمله للحياة الأبدية ، الذي قال عنه الرب "الكلام الذي أكلتمكم به هو روح وحياة" (يو ٦ :
٦٣) .. تدركون روحانية الكلمة ، وتحولونها إلى حياة لكم .

عندما انفصل بعض تلاميذ الرب عنه، فقال للإثنى عشر "أعلمكم أنتم أيضاً تريدون أن
تمضوا، حسناً أجابه القديس بطرس الرسول "يارب إلى من نذهب؟! وكلام الحياة الأبدية
هو عندك" (يو ٦ : ٦٨) . فاحرص يا أخي أن تتمسك بكلام الحياة ...
واحرص أيضاً على كل الوسائط الروحية التي هي سبب للحياة . إحرص على التأمل،
والقراءات الروحية ، والاجتماعات الروحية، وقراءة سير القديسين التي قال عنها الآباء
إنها مثل الماء للغروس الجديد .

أما كلام الله ، فلتلج فيه النهار والليل (يش ١ : ٨) (مز ١ : ٢) ، وتعمل به ، وتعلمه
لأولادك، وتتكلم به حين تجلس في بيتك (تث ٦ : ٦ ، ٧) .

حياة مثمرة

الإنسان الحي هو الذي لحياته رسالة يقوم بها ، مها كانت حياته على الأرض قصيرة.
بهذا تصبح حياته منتجة ومثمرة .

لا يهمننا في حياة أولاد الله طولها وإنما عمقها .
يوحنا المعمدان :

كانت حياته في الخدمة حوالي السنة . ولكنه استطاع فيها أن يهيئ الطريق قدام الرب،
ويقدم له شعباً مستعداً بالتوبة . وبهذا استحق أن يكون أعظم من ولدتهم النساء (مت ١١ :
١١) . واختتم حياته بالاستشهاد وهو يشهد للحق موبخاً الملك هيرودس (مت ١٤ : ٣ -
١٢) .

اسطفاتوس أول الشماسة :

كان مجرد شماس ، لا كاهناً ولا اسقفاً . وكانت فترة خدمته قصيرة. ولكن حياته كانت
مثمرة . فما أن وضعت اليد عليه ، حتى قيل إن كلمة الله كانت تنمو، وعدد التلاميذ

يتكاثر جداً في أورشليم، وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان (أع: ٦، ٧، ٨). وسبب نجاح حياته أنه كان مملوفاً من الروح القدس والحكمة والإيمان والقوة (أع: ٣، ٥). ونال إكليل الشهادة، واستحق أن يرى الرب يسوع قائماً عن يمين الله (أع: ٧: ٥٥). وكان وجهه كوجه ملاك (أع: ٦: ١٥).

فهل حياتك مثمرة؟ وأي عمل لك تستحق عليه إكليلاً؟

هناك من نالوا إكليل البتولية أو إكليل العفة. ومن نالوا إكليل الجهاد أو إكليل الشهادة. ومن نالوا إكليل الرهبنة أو إكليل الكهنوت. ومن نالوا إكليل البر، أو أنواعاً أخرى من الأكاليل...

فما هو إكليلك أنت؟ إن كان لك ثمر يستحق تمسك بما عندك، لنلا يأخذ أحد إكليلك" (رو: ٣: ١١) "لنلا تتزحزح مناراتك من مكانها" (رو: ٢: ٥). واستمع إلى قول الكتاب: كل شجرة لا تصنع ثمرأ جيداً، تقطع وتلقى في النار" (مت: ٣: ١٠). فلتكن حياتك إذن مثمرة للملكوت، وللمجتمع الذي تعيش فيه. مثمرة في حياة الفضيلة والخدمة - وليكن ثمرك مستمراً.

حياة مستمرة ومهتدة

مثل حياة الآباء والقديسين، الذين بعد تركهم لعالمنا الفاني، لا تزال ثمار حياتهم وجهادهم قائمة في الكنيسة ينتفع بها الكل. سواء كانوا نماذج في القدوة الصالحة، أو كانوا أبطالاً للإيمان.

من أمثلة هؤلاء القديسين أثناسيوس الرسولي.

حياته لم تنته بموته، فلا تزال ممتدة عبر الأجيال، في كتاباته اللاهوتية دفاعاً عن الإيمان ضد الأريوسيين.

وحياة القديس يوحنا ذهبي الفم، لا تزال ممتدة تعمل في جيلنا وما سبقنا من خلال عظاته وتفسيراته العميقة للكتاب.

ويعوزني الوقت إن تكلمت عن سير القديسين الذين ظلت ثمار حياتهم تعمل في أجيال طويلة بعدهم مثل القديس كيرلس الكبير، والقديس باسيليوس، والقديس غريغوريوس، والقديس ساويرس الأنطاكي.

كذلك آباء البرية العظام الذين لا تزال حياتهم ممتدة في الرهبنة في كل بلاد العالم،

أمثال القديس أنطونيوس الكبير، والقديس باخوميوس الذى وضع قوانين الرهبنة، والقديس بولا أول السواح. هل انتهت حياة هؤلاء بموتهم؟ كلا بلا شك .

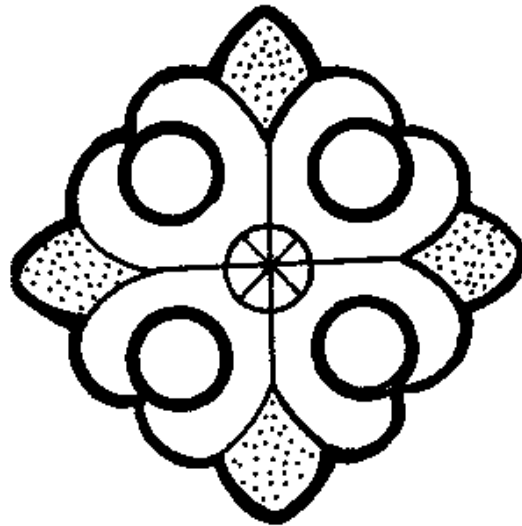
وبالمثل أيضاً ما نذكره عن قديسى التوبة .

الذين تركوا لنا مثلاً حياً عن الرجوع إلى الله بتوبة حقيقية ظلت تنمو حتى وصلت إلى حياة القداسة فى عمق ، كالقديس موسى الأسود والقديس أغسطينوس والقديسة مريم القبطية، وأمثال أولئك .

هناك قديسون آخرون حياتهم ممتدة فيما يقدمونه لنا من شفاعاة ومعونة .

. كالقديسة مريم العذراء والقديس مارجرس وباقى القديسين الذين - على الرغم من مفارقتهم للعالم - لا يزال الله يوفدهم فى خدمات معونة يقدمونها للبشر الأحياء على الأرض. أترى هؤلاء قد انتهت حياتهم بتركهم لعالمنا الفانى، أم لا تزال حياتهم ممتدة فى أجيالنا وما بعدها ؟

هذه هى فكرة بسيطة عن الحياة الحقيقية التى كانت مثمرة خيراً على الأرض، وصارت ممتدة بعد رحيلها إلى العالم الآخر . ليبتها تكون قدوة لنا جميعاً .



فهرست الكتاب

الأعصاب	٣٩
الضمير	٤٠
العواطف	٤٠
التوازن	٤١
المعرفة	٤١
القيادة الإلهية	٤٢
الفصل الرابع : العقل	٤٣
إن كان العقل يقود الإنسان	
فما الذي يقود العقل؟	٤٤
تجديد الذهن : أهمية التجديد	٥٠
الفصل الخامس : الضمير	٥٥
ضمير الإنسان والعوامل المؤثرة عليه ...	٥٦
الضمير يمكن أن يخطئ	٥٦
الضمير تؤثر عليه الرغبات	٥٨
المعرفة تؤثر على الضمير	٥٩
تأثر الضمير بالجماعة	٦١
الضمير يتأثر بالقيادة	٦٢
الضمير والإرادة	٦٢
الفصل السادس : الجسد	٦٥
الجسد ونظرة المسيحية إليه	٦٦
الجسد ليس خطية	٦٦
الجسد الخاطئ	٦٧
أعضاء خاطئة	٦٨
إخضاع الجسد	٦٩
كيف نمجد الله بأجسادنا	٧٠
أجساد القديسين	٧١
الفصل السابع : القلب	٧٣
القلب ودخوله في كل عمل	٧٤

مقدمة	٥
الفصل الأول :	
الإنسان نفس وجسد وروح	٧
ما يتكون الإنسان ؟	
جسد وروح ونفس	٨
النفس	٩
المعاني الثلاثة للنفس	١٠
النفس أحياناً بمعنى الروح	١١
الجسد	١١
الروح وإمكانية سقوطها	١٣
اشترك الروح والجسد	١٥
الروح هي صورة الله	١٦
الفصل الثاني :	
طاقات الإنسان وغراتزه	١٩
طاقات الإنسان	٢٠
توجيه الطاقات والغراتز والمواهب	٢٧
العناد	٢٧
الغضب	٢٩
الطموح	٣٠
القوة	٣١
محبة النفس	٣٢
المواهب	٣٣
كل شئ طاهر للطاهرين	٣٤
الفصل الثالث :	
ما الذي يقود الإنسان في حياته	٣٥
العقل	٣٦
التقاليد	٣٨
الإرشاد	٣٩

١٠٧	شركة الروح القدس
١١٠	الروح وكيفية الإهتمام بها ؟
١١٠	غذاء الروح
١١١	زينة الروح
١١٢	كنت في الروح
١١٣	شركة الروح
١١٤	هيئة الروح
١١٥	أروح كبيرة
١١٦	الروح وليس الحرف
١١٦	الصوم
١١٧	المطانيات
١١٨	الصلاة
١١٩	القبلة
١١٩	العطاء
١٢٠	الخدمة
١٢٠	السبت
١٢١	الطقوس
١٢١	العقيدة
١٢٢	الرموز
١٢٣	الفصل العاشر : الإرادة
١٢٤	الإرادة كيف تقوى ؟ وكيف تضعف ؟
١٢٤	أسباب ضعف الإرادة
١٢٩	كيف تقوى الإرادة ؟
١٣٥	الفصل الحادي عشر : الحياة
١٣٥	ما هي الحياة ؟ وكيف تكون ؟
١٣٨	كيف ننال الحياة ؟
١٤٠	حياة مثمرة
١٤١	حياة مستمرة وممتدة
١٤٣	فهرست الكتاب

٧٤	أهمية القلب
٧٥	القلب مصدر المشاعر
٧٦	القلب والفكر
٧٧	القلب والإرادة
٧٧	القلب واللسان
٧٨	الحياة مع الله
٧٩	قلبك هو السبب
٨٠	صفات القلب الروحية
٨٢	القلب وعمله الروحي
٨٢	القلب والتوبة
٨٥	العمل الإيجابي للقلب
٨٦	القلب والعبادة
٨٧	القلب والصلاة
٨٩	الفصل الثامن : الفكر
٩٠	مقدمة
٩٠	الفكر والقلب
٩١	الحواس
٩١	البيئة والصدقاة
٩٢	توالد الأفكار
٩٢	العقل الباطن
٩٣	أسباب نفسية
٩٤	حروب الشيطان
٩٥	الفكر ومحارباته
٩٧	محاربة الفكر
١٠٠	الفكر ومحارباته (ب)
١٠٢	إنشغال الفكر
١٠٥	الفصل التاسع : الروح الإنسانيّة
١٠٦	روح الإنسان وعلاقتها بالروح القدس
١٠٦	الروح الإنسانيّة

فقد الكتاب

بسم الأب وابن والروح القدس
إلهنا الواحد أمين

هذا الكتاب الذي بين يديك ،
يعتقد أنك أنت، عن الإنسان .

يتحدث عن طاقات الإنسان
وعقله، وطريقة توجيهها .

ويشرح - الذي يقود الإنسان؟
إن كان العقل يقود. فما الذي
يقود العقل؟

ثم ما هو الفكر في الإنسان؟
وكيف يمكن ضبط الفكر؟

وما هو عمل الضمير، وعمل
القلب، وعمل الروح؟ وماذا عن

الجسد؟
وما هي الحياة الحقيقية؟

الحياة المثمرة والممتدة ...
إله كتاب يطوف بك داخله،

لكي تحاول أن تعرف نفسك : من
أنت؟

ولكي تستخدم كل طاقته وكل
عناصره في طريق الخير .

فيها شهود الثالث

الثمن ثلاثة جنيهات